مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

سناء صليحة

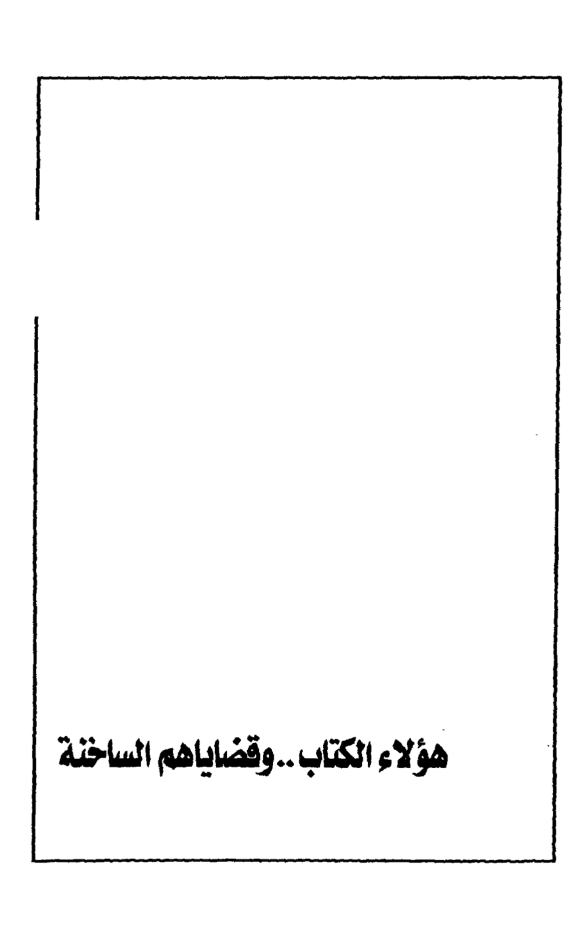
# هؤلاء الكتاب وقضاياهم الساخنة

## فى السياسة - فى الأدب - فى الثقافة - فى الحياة

الأعمال الفكرية



الهيئة المصرية
العامة للكتاب



# هؤلاء الكتاب.. وقضاياهم الساخنة

## لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: **المدينة (قطاع)**

التقنية: **ألوان زيتية على توال**

المقاس: **١٦٠×٣٢٠سم**

## محمود سعيد (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤)

أكثر رواد الفن المصرى اهتماماً بالبحث عن الشخصية المصرية، وأكثرهم جرأة فى تناول الموضوعات، حيث أرسى تقاليد حرية الفنان بعيداً عن القيود الرقابية، تعلم الرسم على يد السيدة إميليا كازوناتو دافرنو، ثم التحق بمرسم الفنان أورتورو زانييزى، وسافر إلى باريس ليدرس فى القسم الحر لأكاديمية جراند شوميير. أقام العديد من المعارض فى مصو وخارجها، وقامت وزارة الثقافة بشراء قصره فى الإسكندرية وحولته إلى متحف يضم الكثير من أعماله. وقد نال العديد من الأوسمة والنياشين، وحصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون ١٩٥٩ . أما اللوحة المنشورة فهى (تفصيل) من لوحة المدينة، التى تعد أكبر لوحاته حجماً فى متحف الفن الحديث بالقاهرة، وتجمع بين العناصر الإنسانية والحيوانية والطبيعية الصامتة والبحر والسماء والأشرعة والمنازل.

**محمود الهندى**

# هــؤلاء الكُتــاب
## وقضاياهم الساخنة

(فى السياسة - فى الأدب - فى الثقافة - فى الحياة)

ســـنـاء صليحــه




# مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

## مكتبة الأسـرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

### (الأعمال الفكريـة)

هؤلاء الكتاب وقضاياهم الساخنة

ســـناء صليحـــه

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
المشرف العام :
د. سـمير سرحـــان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقـافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزار ة الشــباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

## على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً ويسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

# مقدمة

التأريخ لحركة أى مجتمع له طرقه وأساليبه المعروفة والمتفق عليها عالميًا.. لكن هل يمكن التأريخ لحقبة من تاريخ أمة من خلال حركة نشر الكتب ؟!

هذا هو السؤال الذى فرض نفسه علىّ مع متابعتى الأسبوعية لعشرات العناوين التى تصدرها المطابع بحكم طبيعة عملى بالقسم الثقافى بصحيفة الأهرام وإدراكى لحقيقة أن قوائم مبيعات الكتب لم تعد مجدية فى عملية إستقراء إهتمامات القراء والقضايا التى تشغلهم أو أنها تعكس بالتبعية التيارات التى يموج بها المجتمع ، وهنا يجدر بنا القول هذا التراجع فى أرقام المبيعات لا يرجع لفقدان الإهتمام بالقراءة ولا لتراجع أهمية الكتاب كما يظن البعض ، ولكن الظروف الاقتصادية وإرتفاع أسعار الورق عالميًا قد شكلا بالفعل عبئًا حقيقًا على ميزانية القارئ فى مصر ، الأمر الذى صرفه ولو جزئيًا عن محاولة إقتناء الكتب اللهم خلال مهرجان القراءة للجميع !! أو الإعتماد على نظام الإستعارة من المكتبات العامة .

من هنا قررت أن أخوض مغامرة محاولة تتبع التيارات الثقافية فى المجتمع المصرى خلال عقد التسعينات من منظور مختلف ، يتلخص فى محاولة قراءتها من خلال تتبع عشرات الآلاف من العناوين التى صدرت خلال تلك الفترة بأقلام أجيال مختلفة من الكتاب إختلفت مشاربهم وأهوائهم .

ومن خلال هذه المتابعة إتضح أن المجتمع الثقافى المصرى قد شهد خلال فترة التسعينات عدداً من القضايا المصيرية ، وأن الكتب التى صدرت خلال تلك الفترة عكستها بصورة واضحة ، الأمر الذى يضحض المفهوم السائد بأن كتابنا ومفكرونا يعيشون فى أبراج عاجية وأنهم منفصلون عن الواقع ومتغيرات المجتمع .

فالرصد السريع للكتب الصادرة فى تلك الفترة - والتى لا توجد مع الأسف إحصائية كاملة تحدد أعدادها بالضبط وإن حالفنى الحظ فى متابعة معظمها بحكم طبيعة عملى - توضح أن معظم الكتب ركزت على قضايا الإرهاب والتطرف والفتنة الطائفية والأحوال الإقتصادية والصراع العربى الإسرائيلى وإتفاقيات السلام والعلاقة مع أمريكا وتجديد الفكر العربى والعلم والدين فى مواجهة الخرافة والشعوذة وتأكيد الهوية والقومية العربية والعولمة ووضعية دول العالم الثلاث فى عصر المعلوماتية والثورة التكنولوچية .. على جانب آخر فقد شغلت الساحة الأدبية بقضايا حرية الإبداع ، ومسئولية الكاتب ، وقضايا الإنسان المعاصر وبحثه عن ذاته فى

عالم يستنزف إنسانيته ، واستخدام اللغة العامية فى الشعر والرواية والقصة، وقضايا الكتابة النسوية وظهور مفهوم الكتابة بالجسد . .

والصفحات التالية تقدم قراءة وطرح كاتبة السطور لهذه القضايا من خلال عينة من الكتب التى صدرت خلال تلك الحقبة . وإذا كان لا يمكن لى الإدعاء أن عينة الكتب المختارة تمثل رصداً كاملاً لواقع الحياة الثقافية فى مصر ، لظروف عدد الصفحات المتاحة لهذا الكتاب والرغبة فى تقديم أصوات من أجيال مختلفة ، إلا أنه من المؤكد أن غياب تقديم قراءة لأعمال بعض كتاب هذه الفترة لا يعنى بالقطع إغفال جهد أو تقليل قيمة ما سطرته أقلامهم . ومن بين هؤلاء الكتاب الغائبون عن هذه الصفحات، الحاضرون دائمًا والمؤثرون فى الساحة الثقافية المصرية د. ميلاد حنا و أ. نبيل عبد الفتاح و أ. محمد عبد المنعم و د. نبيل على. وفرج فودة و د. أحمد مستجير ، وأ. فهمى هويدى ، أ السيد يس و د. نوال السعداوى والدكتورة سناء المصرى رحمها الله ، ود. عزة عزت وغيرهم من الكتاب الذين أثروا الحياة الفكرية فى مصر وتناولوا قضايا فرضت نفسها على الإنسان المصرى وما يزال بعضها مفتوحًا حتى الآن . .

أما بالنسبة لإختيارات هذا الكتاب ، فأعترف عزيزى القارئ أنها أوقعتنى فى مشكلة عند محاولة ترتيب المادة . . فالجميع قاماتهم شامخة والفكر لا يخضع لمنطق الأفضل أو الأكبر أو الأكثر شهرة أو أى من عوامل التمييز أو المفاضلة . . من هنا ، قررت أن أقسم الكتاب لقضايا

رئيسية وأن يتم ترتيب الكتب التى تعرضت لها طبقًا للترتيب الهجائى لأسماء كتابها .

وأخيراً فإننى أعترف عزيزى القارئ أن حصاد مغامراتى الحقيقى هو تأكدى أن الحياة الثقافية فى مصر ماتزال تموج بالحياة وتتفاعل مع المجتمع لتؤكد استمرارية وتواصل عطاء الأجيال ، رغم كل الإدعاءات والأقاويل حول إصابة الحياة الثقافية بالجمود والشلل !!!

سناء صليحة

القاهرة ٢٠٠١

# الإرهاب والفتنة الطائفية



## كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة

لأن طبيعة المكان تترك بصمتها على شخصية سكانه ، ولأن أرض الوادى الخضراء والنيل المتدفق دائمًا أبدًا قد شكلا كيان المصرى منذ آلاف السنين ، فكان الزارع والصانع والبناء الذى تسرى مع دمائه منظومة حضارية خاصة جدًا ، يورثها للأبناء والأحفاد ، مقوماتها التعمير والبناء والتسامح والتعايش وسط وبين كل الأجناس والأديان . . من أجل هذا كله لم يستطع الإنسان المصرى البسيط رغم ما تؤكده وسائل الاعلام يوميًا حول إستشراء موجات الإرهاب الدموى فى العالم كله ، أن يتقبل أو يتصور إنتقال الداء لمصر ، حتى وإن تسربل برداء الدين أو تخفى تحت راية لا إله إلا الله .

فمن بين دوى الإنفجارات والأشلاء المتناثرة فى بحور الدماء ومعزوفة النشاز التى أطلقها البعض مدافعين عن الإرهاب مبررين له ، بداية من

عدم إقامة الدولة لشريعة الله ، وإنتهاء بتبرير عمليات القتل والتدمير بأنها مجرد إندفاع شباب تملؤه الحماسة لدينه ووطنه . . بين كل هذا لم يجد المصرى الإجابة الشافية التى تبرز ما حدث أو تعقلنه . . ومنذ ذلك الحين توالى ظهور الكتب التى تناولت قضية الإرهاب فى مصر . . وكان من بينها كتاب كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة ، الذى تصدى خلاله الأستاذ إبراهيم نافع لعرض أبعاد قضية الإرهاب إلى مصر متسلحًا بخبرته الطويلة فى المجال الصحفى والسياسى والاقتصادى وقربه من الحدث ومركز صناعة الخبر . .

فقدم المؤلف فى كتابه تلخيصًا وافيًا لأبعاد القضية من واقع التقارير والوثائق مع تحليل للحدث من خلال قراءته للأحداث وإستقراء أحداث تاريخ المنطقة والواقع الدولى الجديد ، مع تحليل اعترافات أمراء الإرهاب والتائبين .

ولعل من أهم الإضافات التى قدمها الأستاذ إبراهيم نافع فى كتابه الفصول التى تناول فيها قضية الإرهاب من المنظور التاريخى والعالمى ، والفصل الذى تناول فيه سيكولوجية الشخصية الإرهابية فى مصر ، وفضحه لعلاقات جماعات الإرهاب التى تتاجر بالدين والوطن بجماعات الإرهاب الدولية ، ثم الفصل الذى يكشف فيه أبعاد مؤامرة ضرب مصر فى نفس اللحظة التى كانت تتأهب فيها لتستعيد دورها السياسى والثقافى على مستوى المنطقة وعلى المستوى الدولى بعد أن أوشكت أن تتخلص من أزمتها الاقتصادية .

وعن البعد التاريخى لظاهرة الإرهاب إستعرض المؤلف ظاهرة الإرهاب فى العصور المختلفة فاضحًا أساليبه فى التخفى دائمًا وراء قناع الإيمان بفكرة أو قضية أو حتى مجرد الصراع من أجل البقاء والذى فرضته ظروف البيئة الصحراوية القاحلة فى الجاهلية . ثم تتبعه لجذور الإرهاب الذى تشهده الساحة الإسلامية الآن موضحًا منابعه وجذوره فى فكر وسلوك الجماعات المتطرفة فى التاريخ الإسلامى ، مثل الخوارج الذين اعتبروا كل من يخالفهم فى الرأى حتى ولو كان من المسلمين كافراً واستحلوا بإسم مبادئهم قتل المسلمين والتنكيل بهم . .

ثم قدم المؤلف فى تلخيص سريع صورة للإرهاب كظاهرة عالمية معاصرة ، كاشفًا مدى التشابه بين أساليب المتطرفين فى العالم العربى واشباههم فى أوروبا حتى فى العصور السحيقة من أمثال جماعات السحر الأسود والهرطقة ثم ظهور الأفكار الفوضية والعدمية التى أفرزت مفاهيم متطرفة فى الفن والأدب والفكر ، والتى أصلت مفاهيم العنف والتخريب المنظم ، الذى وصل عند البعض لتبنى قيم التخريب المتعمد وإستحلال أملاك الآخرين باعتبار أن الملكية هى السرقة على حد قول الفرنسى بوردون.

وفى فصل آخر حاول المؤلف أن يرصد أسباب إستشراء الإرهاب الدولى خلال العقدين الأخيرين وحددها فى التناقض بين ما تحض عليه المواثيق والمبادىء الدولية وسلوكيات القوى الكبرى وإفتقار النظام الدولى

إلى الحزم فى الرد على الإنتهاكات . وتواصل بعض الدول والحكومات مع منظمات الإرهاب الدولى التى تكاثرت كخلايا سرطانية لا تتوانى عن الاستفادة بالتكنولوجيا الحديثة لتطوير أداتها أو لجمع المعلومات مستفيدة فى ذلك بسلبية الدول حيال الظاهرة .

ثم تناول الكاتب محاولة الغرب اختزال الإسلام فى بندقية وحجاب وإدعاء جماعات الإرهاب أن الإسلام يبيح الإرهاب وفند ذلك بالقرآن وآراء الفقهاء .

كما عرض المؤلف لتصاعد تيار العنف والقلاقل على المستوى العالمى عام ٩٢ وظروف مصر فى تلك الفترة مؤكداً بالأرقام والأحداث حقيقة الدور التآمرى الذى لعبته بعض الأنظمة لضرب مصر وهى على مشارف مرحلة جديدة .

ثم إنتقل الأستاذ إبراهيم نافع لنقطة فى غاية الأهمية آلا وهى تحديد الخصائص الإجتماعية والفكرية والنفسية لشخصية الإرهابى المصرى . . ومن خلال تحليل كافة العوامل المحيطة بهذه العناصر يصل المؤلف لتوصيف دقيق لهم ، فهم مجموعة من الشباب فى مراحل التكوين إغتالتهم ظروفهم الإقتصادية والبطالة والفراغ الثقافى والمعنوى ويعانون من التوجس والريبة ، والأهم من ذلك أن معلوماتهم الدينية ضحلة بحيث يسهل أن ينساقوا وراء أى فكر مضلل . كذلك أوضح المؤلف عناصر الرسالة التى استطاعت من خلالها تلك الجماعات أن تستقطبهم ولخصها فى تأكيد مفهوم سيكولوجية

الكراهية والعدمية إزاء كل مظاهر الحياة الحديثة ورموزها .

وفى فصل آخر تعرض الكاتب للقضية الشائكة .. قضية الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة ومحاولة إثارة الفتن بينهما ، متسائلاً هل حدث إختراق أو تغيرت العلاقة التاريخة ؟!! .. ويجيب الكاتب بعد استعراض كل الأحداث وكشف ما يدور وراء الستار وما تدبره الأيدى الخفية التى تستهدف مصر فيقول «ان ما يجمع عنصرى الأمة أكبر من أى محاولات خارجية أو داخلية لهدم هذا البناء الذى تمتد أسسه فى أعماق الزمان» .

وفى ختام كتابه طرح المؤلف قضية الحوار مع الجماعات الإرهابية ، فيقول أن الحوار لا يكون إلا مع الفكر لا مع القتلة والإرهابيين الذين تحولوا إلى قتلة صمت عقولهم ، والبديل المطروح هو الحوار مع الفكر الإسلامى المستنير لإعادة الفريضة الغائبة فى حياة المسلمين ، فريضة الإجتهاد من أجل مجتمع أفضل .

ولمقاومة ظاهرة الإرهاب يقدم الكاتب تصوره لخطة واضحة واضحة المعالم أهم خطوطها رفع المعاناة الإقتصادية وتطوير التعليم وخلق سياسة إعلامية لها مصداقيتها ومشاركة المواطنين لتعميق أسس الديموقراطية مع استصدار تشريعات لمواجهة التطرف .

والحقيقة أن الإضافة الحقيقية التى يقدمها كتاب «كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة» لقائمة الكتب الطويلة التى تناولت هذا الموضوع إجماله

لأبعاد القضية بالكامل مدعمًا بالمعـلومة والتحليل السياسى والاقتصادى فى أسلوب صحفى سـهل . بعيدًا عن التقـعر والمصطلحات الصعـبة ، ليصل للقارى ، أيًا كان مستواه الثقافى ، بحيث يخرج مع آخر صفحة يطويها فى الكتاب بصورة شاملة عن أبعاد المؤامرة التى تهدد مصر .

✿



# بين الدين والديناميت

«ما الفرق بين الإيمان والتعصب ؟ كيف يتحول الإيمان بفكره إلى عنف دموى يستلب إنسانية البشر ويقتل تفردهم ، ليحولهم لمجرد كائنات ماصة للدماء ، فاقدة للقدرة على التفكير أو التمييز أو تحديد الإتجاه ؟ ! لماذا إستعار الإنسان أنياب الذئاب ومخالبهم ليفترس نفسه قبل أن يفترس الآخرين وليتحول لشبه آلة أسطورية مرعبة تتقدم فى بطء لتسحق كل ما فى طريقها وتحول أجمل وأروع إبداعات الإنسان لمجرد بقايا ؟! كيف إمتزج الخوف وإمتهان الذات وتدميرها وتدمير الآخر ، بالأوكسچين والعوادم التى نتنفسها فى كل لحظة لينتج ذلك نوعًا آخر من التلوث الذى ينهش كياننا ؟! فى خضم كل المآسى والتشنج والكلمات الخاوية من المعني وقزقزة اللب السياسية والعقلية الخرافية التواكلية والاجواء الخانقة لكل فكرة أو مبادرة جديدة .. كيف يصبح الحب الإعتراض الوحيد على الموت ؟!!» .

عبارات وعناوين تتشابك وتتقاطع فى تلقـائية شديدة وصراحة موجعة تصل لحد الصدمة . لتشكل سطور كتـابه الدين والديناميت صورة بانورامية واضحة لأعماق الإنسان المصرى وقضايا مجتمعة .

يمارس الكاتب الصحفى الأستاذ أنيس منصور هوايته فى مشاغبة قارئه وإستثارة شـهيته وفضوله من خـلال إختياره للحدث أو قضيـة الساعة التى تحـتل حيـزاً لا بأس به فى عـقل المواطن المصرى والـعربى ، بل وتشـغل الإنسان عمومًا فى قارات العـالم الخمس ، وذلك من خلال إختياره الذكى للعنوان الموحـى - الدين والديناميـت - وتحليله لظـاهرة العنف والإرهاب موضحًا أن التعصب أيًا كـان لونه أو جنسيته أو هويته الفكرية يدفع للعنف والإرهاب لأنه يمثل نوعًا من عمى الألوان والأصوات ويفقد الإنسان القدرة على الرؤية والتسامح مع الآخر أو حتى محاولة تفهمه .

ويوضح الكاتب حالنا الآن بكـلمات موجعـة فيقول «طواحين الحـقد تسحق الأبرياء . . لقـد انشطرنا . . انغلقنا ، نصفنا يكفر نصـفنا ، نصفنا يلعن نصفنا ، نصفنا يقوم بتصفيـة نصفنا الآخر والدول الكبرى سعيدة . . ويحس الصحفى المتابع للحدث ، القادر على قراءة واستنتاج دلالته وتوابعه وبرؤية الباحث والمفكر الموسوعى يتسلل أنيس منصور مصطحبًا قارئه لمناطق أبعد ، قـد تبدو للوهلة الأولى بعيـدة كل البعد عن قضـيته الأساسـية أو عنوان كتـابه ، ولكنها فى مـجموعـها تكون الذرات المتـفجـرة التى تهدد بإشعال الفتيل وحدوث الانفجار فى آية لحظة . . فيحلل الخوف من منظور

فلسفى فيقـول أنه يحكم الجميع حتى رجال الأمن أنفسـهم . . فهو الحاكم بأمـره فى الأرض . . ولعل فكرة الخـوف هى القيـمة المـمتـدة التى تربط المواضـيع المختلفـة فى الكتاب بداية من الخـوف من مواجـهة فكـر الآخر والتسامح معه والتـعايش فى ظل فكرة إمكانية تعدد الأفكار والآراء ، دون محـاولة فرض الرأى والفكر بالقوة أو الـتشنج أو الإدانة أو حتى المقـاطعة الغبـية التى منعت عرض فيلم عن الرسـول عليه السلام وسمـحت بعرض الكثير من النماذج السينمائية الهابطة المستوى التى تستهزىء بالعرب أو التى تمتلىء بالمغالطات التاريخيـة مثل لورنس العرب . . هذا الخوف الذى يمنعنا أن ننظر لتاريخنا بنظرة مختلفة ، أن نعيد قراءته بـأعيننا قراءة صحيحة غير مزورة ولا متشنجة بعيداً عن السياسة والمرايا المتعرجة والعيون المتحجرة التى أفرغت نصـر أكتـوبر من معناه وحـولته لحـدث نقرأه من خـلال الآخرين وحولت الأغـنية الوطنيـة لمجرد توقيع فى دفـتر التـشريفـات التاريخـية ، لتضـيف نوعًا جديداً من العـجز والغيبـوبة الفكرية والفوضوية الوجـدانية والعدمية التاريخية .

وتتـبلور فكرة الخوف لتـتخـذ أشكالاً وصوراً تتـشعب وتتـغلغل فى جوانب حياتنا لـتنشر الإحساس بالتواكل والإعتمـاد على الآخر وتصور أن الإتحاد السوفيتى السابق كان عليه أن يخوض معركتنا !! . . ولتسود العقلية الخرافية وقـزقزة اللب السياسية حول أطباق الكافـيار وأقداح المشروبات فى دول المهجـر ، ولتصـبح الجعجـعة والطنطنة الـلفظية البديل عـن الفعل ،

وإهانة النفس وتحقيرها المبرر المشروع للعجز والتواكل ورفض إستيعاب أى معطيات ، ليصبح أى تغير نوعًا من الصدمة التى لا يمكن تقبلها ، وهكذا يسود نمط إخفض رأسك وإقطع لسانك وحذار من التفكير لتضمن البقاء . .

ان أنيس منصور بأسلوبه السلس الجذاب وقدرته على الإنتقال من موضوع لآخر دون أن يشتت إنتباه قارئه ، وصراحته وإستفزازه وإطلاق المسميات الحقيقية على الأشياء - مثل قوله أننا أوقفنا نمو العالم لنتوهم أننا أكبر وأعظم إنما يقدم قراءة موسوعية شاملة لحالة وطن أو منطقة أسرها . . وهو لا يكتفى بهذا ، ففى كل صفحة يضع إصبعا من الديناميت ليفجر الجدران المصمتة والأفكار الجامدة التى تحجب عنا الرؤية الحقيقية وتخنق كل فكرة جديدة أو محاولة للإبداع حقيقية فى أى مجال ، لا تتبع نسق القيم والأفكار والأنماط السلوكية التقليدية البالية .



# الكل فى واحد

لم يشف السطح الهادئ عن التيارات الساخنة المتلاطمة وراءه . . مسخ شائه ينمو فى الخفاء يتحين الفرص ليقضى على كل أخضر فى حياتنا . . دوائر متشابكة تعود بنا إلى نقطة البداية ليخوض الوطن معارك سبق أن خاضعها ويمر بجدل سبق أن مر به ويصل لنتائج وصل اليها الأجداد من قبل . .

طائفية وإرهاب . . الأصالة فى مواجهة المعاصرة . . عمل المرأة . . الحجاب . . شركات توظيف الاموال . . تطبيق الشريعة الاسلامية وموقف الأقباط . . غياب مفهوم الحوار فى ظل معزوفة الصراع . . المناورات والاتهامات التى طمست فكرة محاولة تعرف أنصار كل تيار على أبجديات فكر التيارات الاخرى . .

بحر متلاطم لم يبح بأسراره إلا لأصحاب الرؤى الثاقبة من عشاق هذه الأرض ، ليكويهم بعذابات الوطن ، ليصلوا بيأسهم وعجزهم - أو على أقل تقدير - لا مبالاتهم . . فالتكرار ملل ، والتجربة التى لا تتراكم

مرارة ، وعجـز الخصوبة ألعن الف مرة من العقم ، والدائرة تضـيق لتهدر جهد آلاف المصـلحين والمفكرين لتعود بنا من حيث بدأنـا . . . دائرة مدمرة لم ينج منها إلا قلائل مـازالوا يحاولون أن يصلوا بأصواتهم للناس ليفـيقوا ويدافعوا عن مستقبلهم ومستقبل أولادهم على أرض مصر . .

من بين هذه الاقلام القليلة ، قلم وريشة د. عمرو عبد السميع اللذان وظفهما منذ أوائل السبعينات وهو مـازال بعد طالبا فى كلية الاعلام ليسخر من متناقضـات الواقع المصرى ، وكأنه يغرس سن ريشتـه فى الورم المتقيح ليخرج سمومه ويطهره ، بسخريته المريره وضحكاته المبكية التى كانت اشبه بالصدمات الكهربائية السريعة .

وفى منتصف الثمانينات خطا د. عمرو عـبد السميع خطوة اكثر جرأة عندما قرر أن يحول ريشته إلى سن قلم حاد ، مدبب يمزق به ستائر الوهم الزائف ويكشف بوضـوح - ودون مواربة فى كلمـات صريحـة لا تحتـمل التأويل - عـن هموم مصـر ومشـاكلها التى تهـدد مستـقبلهـا وأن يخرج الهمسات من بين جدارن الحجرات المغلقـة إلى ضوء النهار ليكشفها ويحذر من جذوة النار التى توشك يد عابثة أن تلقـيها لتطيح بكل شئ . . قرر أن يتعامل مع كل شئ وبدون حساسية بداية من الطائفية ومحاولة تقسيم مصر على أسس دينيـة ودور الجمـاعـات القبطـية فى المهـجر وإنتـهـاء بالتطرف وإختفاء الدور السياسى للأقباط بعد ثورة يوليو . .

وبحكم دراسته وعمله الأكاديمى وخبرته فى أوراقة صاحبة الجلالة إختار لنفسه الحوار كوسيلة للبحث عن الحقيقة لخلق حلقة نقاش مفتوحة على كل التيارات لتعبر عن رأيها بصراحة حتى ولو كانت أفكارها مازالت اشبه بكائن هلامى غير محدد التفاصيل ولا الملامح . اختار د. عمرو عبد السميع الحوار ليمزق ستائر العزلة المفروضة التى خلقت نوعا من الفصام والغربة بين أصحاب الآراء المختلفة التى تزخر بها ساحة الوطن على المستوى السياسى والاجتماعى والثقافى للوصول لنقطة بداية لحوار لا تمزقه طلقات الرصاص . .

وهكذا وعبر مئات الساعات المسجلة والحوارات مع الرموز الدينية والسياسية والفكرية التى تم بالفعل نشرها فى عدد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية ، ناقش د. عمر عبد السميع كل تفاصيل الحياة المصرية وتعامل مع قضايا شائكة فى غاية الحساسية مثل السلطة الكنسية وعلاقاتها بالاقباط ورؤية الاخوان المسلمين لقضايا المجتمع وبوادر التطرف وفكرة الصدام مع الغرب الصليبى وتقليص فرص التعليم والحقوق السياسية للأقباط وغيرها .

ورغم أن هذه الحوارات التى أجريت على مدى سنوات تعد بمثابة منظومة واحدة توضح الرؤية المستقبلية لمصر على كل المستويات من خلال كل التيارات إلا أن الدكتور عمرر عبد السميع عمد إلى تقديمها فى كتابين منفصلين يحمل الاول اسم «الاسلاميون» والاخر «النصارى» ليتيح للقارئ الفرصة لرؤية أفضل لأبعاد كل تيار من خلال تتباع الافكار والاراء . . .

والحقيقة ان كتابى د. عمرو عبد السميع بحواراتهما العشرين الشيقة مع أهم رمرز التيارات المختلفة مثل محمد الغزالى والبابا شنودة وخالد محمد خالد ود. ميلاد حنا وفهمى هويدى ود. بطرس غالى وغيرهم ، ممن إستطاع المحاور الذكى أن يدفعهم دفعا للتعبير عن آرائهم بصراحة فى تلك الفترة ، بمثابة توثيق لزوال عالم قديم وبزوغ عالم جديد ، تتأكد فيه أن رؤية أقباط مصر ومسلميها هى رؤية مصرية أولاً وأخيراً ، وأن محاولة تقسيم مصر بمنطق العصور الوسطى أو العصر العثمانى عملية مستحيلة ومرفوضة ، فإن روح مصر التواقة دائما للإستقلال وإحساسها المتميز بالتفرد الذى قاوم الذوبان والتفتت وحد المكان والأشخاص فى أعماق اللاوعى المصرى لتبقى مصر لكل المصريين وليصبح الكل فى واحد . .

وبعد شهور قليلة من صدور مؤلفيه الساخنين المسلمون والنصارى ، عاد د. عمر عبد السميع فى كتابه المتطرفون ليمارس هوايته المفضلة فى إقتحام المناطق الملغومة . فيناقش أبعاد قضية التطرف ويحاول إختراق الضمير الجمعى المصرى لإدراك أبعاد التيارات التى تموج تحت السطح ، ليكشف كل الأوراق ويناقش بصوت مسموع ما لا تنطق به الشفاه . لقد وجد التطرف منذ وجد الإنسان على الأرض وإن إختلفت أشكاله وأهدافه ودوافعه . . فعرفت البشرية على إمتداد تاريخها بشراً أمضوا حياتهم وأعينهم لا تري إلا ما تمليه عليهم عقولهم مهما كذبته الأحداث ومهما تغيرت الدنيا من حولهم . ومع تطور الإنسان إرتقى التطرف درجة وتسربل

بألفاظ وقيم ، ليتخذ فى كثير من الأحيان طابعًا فكريًا أو روحيًا ، ليصبح الإقتراب منه أو مجرد محاولة مناقشته دربًا من الجنون وليتحول التطرف إلى جزء من ممارساتنا اليومية التلقائية التى نمارسها على المستوى المادى أو الفكرى دون أن نتوقف أمامها ولو للحظة .

مع ذلك فعندما إتخذ التطرف فى السنوات الأخيرة فى العالم كله طابعًا دمويًا حادًا ، تنبه البعض لخطورة الموقف وحاولوا دراسة الظاهرة . فأرجعها البعض لفقدان الثقة فى المؤسسات الدولية والسياسية والدينية أو محاولة قوى ما الوصول للسلطة بينما رأى أخرون أنها صراع حضارى طبقى وفكرى ونفسى . وفسرها البعض الآخر بأنها رد فعل طبيعى للتحول فى نسق وقيم المجتمع الصناعى إلى نمط عصر المعلومات التى يفرض تأكيد الهوية وإثبات الخصوصية والدفاع عن الكيان العرقى . ورغم كل التفسيرات ظلت مشكلة التطرف فى العالم العربى ، والتى تحولت فى كثير من الأحيان لمواجهات دامية ، لا تفصح عن أهدافها بوضوح خاصة عندما تحول الأمر إلى تلاعب بالألفاظ وتناوش بالكلمات . ولعله مما زاد من المشكلة إنكفاء التيارات السياسية على نفسها وفرضهم للعزلة على أنصارهم مما أدى بهم فى النهاية إلى عدم الفهم الصحيح لأنفسهم أو للآخرين . وهكذا وجد الإنسان المصرى نفسه فى حومة معركة إختلطت فيها الأسباب السياسية بالقيم الدينية وتداخلت فيها المصالح الشخصية لتمتطى الأبعاد الروحية ولتكثر المغالطات ويشتد ضيق الأفق والتلاعب

بالكلمات الـتى اكتسـبت دلالات مختلفـة عن حقيـقتهـا ، لتصـبح كلمة ديمقراطية مرادفًا طبـيعيًا لكلمة الوثنية ، والعلمانية نقـيضًا للعلم والتواصل مع الفكر الإنسـانى مـضاداً للتـراث والهـوية القومـية ولـيصـبح التطرف والمتطرفين قضية الساعة .

وفى كتـابه (المتطرفون) يخطو د. عـمرو عـبد السمـيع خطوة أكـثر جسـارة على طريق إفشـاء الحوار ، كمـا يطلق عليه ، فـيجـمع بين رموز التيـارات السياسيـة المختلفة حـول مائدة للحوار لتـدور بينهم أطرف وأجرأ مناظرة - وجهًا لوجه ، بعـد أن كان يكتفى كل طرف منهم بإطلاق أسهم الإتهامات الطائشة صوب الأخر ، دون أى محاولة جادة للفهم أو الإتصال أو الفحص بروح العدل والحياد .

وفى ندوة تلو الأخـــرى وتحت مظلة عناوين المتـطرفـون - صـعـود الراديكالية الدينيـة فى العالم العربى ، إيران ، لماذا يتطرف الإسـلاميون ، اللبيرالية ، تتضح خريطة القوي الإسلامية فى العالم العربى وموقع التطرف منها وتيارات العنف ، ويتضح تحول ظاهرة العنف إلى أيديولوجية لها فكر منظم ونظرية ، ومأزق محاولة تطويق التطرف من خلال المواجهات الأمنية فـقط ، وعجـز مـعظم القوى المطـروحة على السـاحـة عن قبـول أسس الديمقراطية .

كـذلك يكشف الحـوار الـذى دار بين أهم رمـوز التـيـار الإسـلامى والمفكرين الممثلين لمختلف التيـارات الأخرى عن الفارق بين التطرف كفكرة

والعنف كممارسة ، وعن محاولة خروج التيار الإسلامى عن عزلته للإتصال والتواصل مع التيارات الأخرى ورجل الشارع .

الأهم من ذلك أن الحوار قد كشف عن إدراك النخبة عمومًا للمأزق الذى أوقعهم فيه الجهلاء ومسوخ الأبطال وأمراء الإرهاب الذين نجحوا بالفعل فى عزلهم عن الشارع وعن السلطة السياسية لتخلو لهم الساحة ليثروا من نسيج الأحلام الكاذبة التى لم تورث الناس إلا الفقر والإحساس بالظلم .

ان ندوات المتطرفون الساخنة أثارت عاصفة حقيقية من الأفكار الهامة ومنحت لكل طرف من أطراف الأزمة إعترافًا ضمنيًا «بوجوده ومشروعيته من خلال تحاوره مع الأطراف الأخرى ، حتى ولو لم يؤد ذلك إلى تغيير القناعات كلية . ولعل القيمة الحقيقية لمجموعة الكتب التى قدمها الكاتب مع أهم رموز التيارات المختلفة ممن إستطاع المحاور الذكى أن يدفعهم دفعًا للتعبير عن آرائهم بصراحة ، أنها بمثابة توثيق لمرحلة هامة من تاريخ مصر وتحويل للحوار ليصبح عملية تحليل فكرى واسع ليتم التمييز بين الدين والسياسة ولتقيم الأعمال السياسية باعتبارها من أعمال البشر غير المعصومين، بأمل خلق وعى شعبى حقيقى قادر على كشف الزيف وخلق مشروع يستوعب الوطن ككل بعيداً عن مشاريع تجار الشعارات .

❁

# الصراع العربى الإسرائيلى

## ٤ تهافت السلام

•

لأن الحاضر ابن شرعى لأحداث الماضى .. لأن المستقبل إمتداد طبيعى للحاضر .. ولأن مصر مازالت رغم المحن هى مصر الكرامة والعزة لأن فيها من يذكرون كيف تموت النخلة واقعة شامخة . ولأنه عندما عايش أحزان صاحبة الجلالة ودافع عن كرامتها ، إنما كان يعايش أحزان وهموم الوطن كله ويدافع عن كرامته وحقه فى الحياة الحرة الشريفة .. لكل هذا كان الكتاب وكان الكاتب ...

فعبر آلاف الأميال ومن فراش المرض[1] يصلنا صوت الكاتب الكبير صلاح حافظ عبر صفحات كتابه **تهافت السلام - المصير العربى فى ظل الهيمنة الإسرائيلية** - وكأنه يطلق صيحة توقظ الموتى فى قبورهم أو على الأقل تزيل الغشاوة التى لم تغط العيون فقط ولكنها جسمت على الأرواح حتى لتكاد أن تزهقها .. يقولها من بعيد .. حى على الجهاد قبل

(١) تزامن صدور الكتاب مع تعرض الكاتب الكبير لأزمة صحية ولقد منى الله على أستاذنا صلاح حافظ بالشفاء ليواصل مسيرته التنويرية الرائدة .

أن يغرقنا الطوفان ونصبح مجرد أثر فى لوح المستقبل يلعنه الأحفاد ويتبرأون منه . .

ورغم أن عنوان الكتاب يوحى للوهلة الأولى أنه مجرد طرح لمراحل البحث عن السلام أو قضاياه المعلقة أو حتى مجرد وجهة نظر مضادة للسلام ، لكن الحقيقة التى تتجلى عبر صفحات الكتاب تؤكد أن الأستاذ صلاح حافظ إنما حاول أن يرسم لوحة تاريخية متكاملة لا تسجل فقط واقع مصر على كل المستويات بداية من ميلاد الحلم ثم لحظة ضياعه وما إستتبعه ذلك من تداعيات على المستوى الإقتصادى والاجتماعى والثقافى أفرزت عنفًا وقيمًا غريبة على هذه الأرض وعقمًا فى الإبداع ، بعد أن راجت فيها قيم الأراض القاحلة التى هجرتها هى شخصيًا العقول الباحثة عن المستقبل ، ولكنه أيضًا يرسم لوحة تاريخية للمنطقة العربية بأسرها تساعدنا على قراءة الماضى وفهم الحاضر والتحرك على طريق المستقبل ، فيطرح الأستاذ صلاح حافظ فى إطار المستجدات والتغيرات الإقليمية والدولية قضايا تهميش دور الجامعة العربية وفكرة القومية العربية التى ذبحتها المأساة الكويتية - العراقية ، التى دقت مسمارًا فى جسد العمل العربى المشترك ، وقضية الأمن القومى وتهديداته فى ظلل الخلل الذى أفرزته حرب الخليج . وقضية الخلل الإستراتيجى فى موازين القوى ، ومستقبل العرب فى ظل عمليات السلام والمتغيرات الجديدة ، وموقع العرب على خريطة التشكيل الشرق أوسطى وإعادة ترتيب العلاقات .

يقول الأستاذ صلاح حافظ «مر عقدان على أول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل وأكثر من خمسة أعوام على مؤتمر مدريد ونحو أربعة أعوام على الإتفاق الفلسطينى الإسرائيلى ونحو ثلاثة على المعاهدة الأردنية الإسرائيلية . . طريق طويل وإتفاقات متتالية تدفعنا للنظر للأمام مرات وللخلف مرات ومرات» . . وفى محاولته البناءة والمدعمة بالوثائق والأرقام لقراءة الحدث وتأمل دلالاته يضع الأستاذ صلاح حافظ يده على موضع الخلل والتناقض بين الواقع والحلم المزيف وأسباب التناقض بين الخطاب السياسى والعقلية الإسرائيلية وحالة التهافت أو الشلل العقلى فى الجانب العربى موضحًا أن الإتفاقيات فى حد ذاتها لا يمكن أن تؤدى لصمود السلام الذى يتعرض لتحديات من موجات العنف والتطرف القائمة على دوافع إما سياسية أو قومية أو دينية أو إقتصادية إجتماعية أو ثقافية فكرية . . فالسلام كما يقول «ثقافة تبنى فى عقول البشر والبناء يعلو بالتناسق ووالتراكم التاريخى المستمر وكذلك بالتوازن والعدالة . . ثم يستطرد قائلاً «ان الصراع الحضارى القائم بين العرب وإسرائيل لا يمكن إنهاؤه لمجرد توقيع الإتفاقات الحكومية وإقامة الاحتفالات الكرنافالية هنا وهناك ، ولكن تحقيق ذلك يحتاج إلى إعادة بناء ثقافى فكرى دينى يواجه دعوات التعصب والتطرف وأسباب الكراهية وإلى إصلاح إقتصادى إجتماعى يحقق العدالة وإقتسام الثروة والسلطة ويزيح الفقر والتخلف ويسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، فيقضى على دوافع الإحباط واليأس ويؤدى

إلى بناء الثقة بين المتحاربين الذين أذاقهم الصراع مرارة نفسية متأصلة عميقة، وإلى مناخ جديد من الحرية يحترم حقوق الإنسان الأساسية بعد عقود من الكبت والقمع بحجة مواجهة هذا الصراع . . أما إستمرار الهيمنة بممارسة حماقة القوة وفرض الأمر الواقع وسريان روح المنتصر المنتشى بإنتصاره والمهزوم المرمرور بإنكساره فأمر لا يأتى بالسلام حتى فى الأحلام . . » .

وعلى درب الرواد وكما هى عادته دائمًا لا يكتفى الأستاذ صلاح حافظ بتشخيص الداء وتتبع مظاهره وأعراضه ولكنه وبإيجابية شديدة يضع خطة عمل لمشروع نهضوى جديد يضع الأمة العربية على طريق المستقبل أسسه تدعيم الهوية الذاتية ببعديها العربى والإسلامى جنبًا إلى جنب مع الإنفتاح على الحضارات الأخرى والاستفادة منها فى مواجهة محاولات فرض الهمينة والتنمية الشاملة بأبعادها الإقتصادية والثقافية والاجتماعية ونشر الديمقراطية الحقيقية القائمة على التعددية السياسية والعرقية والفكرية والدينية وإحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وبناء تحالف عربى ديمقراطى شعبى مستنير بقيادة حركة النهضة والإصلاح من بين التيارات القومية والتحديثية والإسلامية والديمقراطية فى مواجهة التحالف القائم بين قوى التخلف والفساد والإرهاب والديكتاتورية والتبعية ، وإطلاق حرية التفكير العقلى وإشاعة المنهج العلمى النقدى وإحياء حركة التنوير فى مواجهة الجهل التغييب والخرافة والتطرف الدينى والفكرى بتيارته المتعصبة.

وفى الفصل الأخير من كتابه أوضح الأستاذ صلاح حافظ أن الشعوب العربية تدرك بحسها الغريزى وفى ظل عمليات التعنت الإسرائيلى أن ما يحدث سلام غير متكافىء وإتفاق غير متوازن ومن هنا ستبقى المواجهة مستمرة بحثًا عن السلام العادل والذى لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إعادة بناء الإنسان فوق أقدم أرض شرفتها الرسالات ومشى فوقها الأنبياء ، ليولد الفجر من رحم الظلمة الحالكة[٢] .

❁

(٢) هكذا ورغم كل الأجواء المستبشرة بحلول السلام فى نهايات التسعينات فى القرن الماضى ، يتضح من هذا المثال أن الأستاذ صلاح حافظ تنبأ بمصير عملية السلام قبل ظهور أى بادرة من بوادر الإنتفاضة الفلسطينية بأكثر من عامين !!

# ٥ الناس فى صعيد مصر باللغة الإنجليزية

فى محاولته الدؤبة لاستشفاف روح مصر واستجلاء حقيقة شخصيتها وسرها الغامض الخالد ، إكتشف د. جمال حمدان أن وصف المكان وحده لا يكفى ولا يعبر عن فلسفته ولا حقائقه الضاربة فى أعماق اللاوعى المصرى .

هكذا وببساطة مبهرة أوضح عالمنا الكبير موضع الخلل فى معظم كتابات الرحالة الذين بهرتهم مصر فخصصوا الصفحات لوصف المشاهدة والتجربة وتوثيق المعلومة ، وتناسوا فى غمار حماسهم رصد الثوابت المتكررة والمتغيرات ورؤية مصر فى إطار التطور الزمنى ، فسودوا الصفحات والصفحات التى امتلأت بالمعلومات الصحيحة والمغلوطة ، سواء عن عمد أو لمجرد الجهل ، وفى كل الأحوال إستغلقت عليهم روح المكان وتاهت عنهم فلم يعرفوا سر مصر الخالد .

لم ينج من هـذا المأزق إلا عـدد قليل من الـرحـالة من بينهـم عـالمة الانثربولوجيا البريطانية وينفريد بلاكمان التى خلعت مع زيها الأوروبى كل الآراء المسبقـة والعنجهية البـريطانية ، لتنطلق فى عشرينات القـرن لتعايش وترصد على مـدى ست سنوات كاملة جغرافـية الحياة اليـومية فى صعـيد مصر، مـحاولة إلتقـاط أدق التفاصيل وإكـتشاف طبيـعـة وقوانين المكـان لتردها فـى النهاية إلى أصولها المصرية القديمة . وفى عام ١٩٢٦ توجـت الباحـثة جهـدها والجزء الأول من مشروعـها الكبيـر لدراسة أقاليم مـصر وأوليائها وأسـاطيرها بإصدارها للكتـاب «فلاحين مصر» الذى يضـعه اليوم الكاتب أحمد محمود بين يدى القارىء العربى تحت عنوان الناس فى صعيد مصر.

ولأننا فى هذه اللحظة بالذات أحوج ما نكون إلى إعادة اكتشاف روح مصر والحقائق الضاربة فى أعـماق اللاوعى التى تؤكد تجانس كل المصريين بعد أن توالت محاولات تأجيج الفتن الطائفـية والعنصرية الكريهة وإختلاق صـور نمطية مصطنعة تفـرق بين شـمال الوادى وجنوبه ولو حتى من قبيل التنكيت ، لأهداف يعرفها الله والمتربصون بمصر . . ولأن سر مصر تاه فى زوايا النفس تحت وطأة الضربات والصراعات اليومية ليصبح حاضرنا مهدداً ومسـتقبلنا غامـضاً . . ولأن . . ولأن . . تصبح مـحاولة إعادة إكتـشاف الذات أمراً لا غنى عنه ، حتى لو كان ذلك من خلال عيون الغرباء بعد أن غفلنا نحن عنه !! فى إطار هذه المحاولة يقدم الأستاذ أحـمد محمود كتابه

الناس فى صعيد مصر لنعايش ، بعيداً عن النكت والتشنيعات والمبالغات ، صورة من حياة سكان جنوب الوادى ، لم تطمس السنون ملامحها . . بل لعل بعد الشـقة الزمنية بين تاريخ تأليف الكتـاب وترجمته وتأكيـد المترجم الصعيدى الأصل لإسـتمرارية كثير من الظواهر التي رصـدتها المؤلفة ، إنما يؤكد تواصل الحاضر والماضى . . وعلى صفحات الكتاب يكتشف القارىء أيًا كان مـوقعه الجغرافـى على خريطة الوادى إلى أى مدى تركت الطبـيعة بصمتها على روحه وشخصيته . . فالصحراء المخيفة المحيطة بالوادى أورثته الخوف من الضياع والعفاريت ، ومن الوادى إكـتسب الرضا والصبر وطيبة القلب وروح المرح الذى سرعان ما يحل مكانها الغـضب والمشاعر المتأججة التى يشعلها الحر . . ثم يكتشف مع فصول الكتاب المتـتالية التى خصصتها الكاتبة للمرأة والطفل والأنشطة اليوميـة والأمراض والإحتفالات والطقوس وحـتى الشعـوذة مـدى التشـابهـه فى العادات والممـارسـات على إمتـداد الوادى. . ففى نفس الوقت الذى كانت تطوف فيـه المرأة فى الصعيد حول الحجر الأثرى الكبير أملاً فى الإنجاب ، كانت المرأة فى شمال الوادى تؤدى نفس الطقس لنـفس الهدف . . نـفس الملاحظة تتكرر فى تقـاليـد الزواج والميلاد والسبوع وحتى طقوس الموت .

ومن أكثـر فصول الـكتاب إمتـاعًا وإثارة للدهشة ذلـك الفصل الذى خصصـته الكاتبة لتناول أعمـــال الســحر والشعوذة والحـسد . . فرغم أن أهم ما يميز عمل وينفريد لاكمان بشكل عام هو معايشتها الكاملة للفلاحين

فى قـراهم ، إلا أن لغة الـكاتبة فى هذا الـفصل بالذات كـفـيلة بأن تدفع القارىء للتساؤل . . هل أذابت شمس الجنوب الحارقة كل معلومات الكاتبة عن حقيقـة التمائم وأصولها ليحل محلهـا إيمان مطلق بمفعولها ؟ !! أم أن الكاتبة بلغت أقصى درجات التقمص لشـخصية المرأة الصعيدية وهى تكتب هذا الفصل فلم يبق مـا يدل على هويتهـا سوى بشرتها البـيضاء وشـعرها الأشقر ؟!

وفي النهاية تقدم الكـاتبة أهم فصول عملهـا والذى اختارت له عنوان أشباه مصر القديمة وحاولت خلاله أن تـرصد العادات والمعتقدات وأصولها الفرعـونية . . وإذا كانت العين الغربيـة قادرة أن ترصد كثـيراً من الظواهر التي قد نغفل عنها لطول ما إعتدناها وعايشناها ، فإنها كثيراً ما تخطى فهم دلالات بعض الأحـداث وهنا يتـبدى لنا الجـهد الـذى قام به المتـرجم فى الشرح والتصـحيح لبعض الأحداث والوقائع التى أوردتهـا الكاتبة فى نهاية كل فصل .

ومن المؤسف بالفـعل أن وينفريد بلاكـمان لم تستطيع لأسـباب غـير معروفة أن تواصل مشروعها الكبير لتقدم مجموعة الدراسات التى كانت قد اعتزمت القيـام بها عن الوجه البحرى والواحات والنـوبة وأولياء مصر . . ولكن لعل صدور هذا الكتاب يحـفز باحثينا للقيـام بمغامرة شبيهـة بمغامرة وينفريد بلاكمـان فى العشرينات ليقـدموا صورة حقيـقية عن الناس فى بر مصر وسر الروح التى يحاول البعض إستلابها .



# هوية مصر

# بين العرب والإسلام

فى تاريخنا العديد من الوقفات الحائرة ، حيث تطفو فجأة العديد من القضايا الحيوية أو تبعث من جديد قضايا كنا نظن أنها حسمت عند وقت طويل .. من بين هذه القضايا قضية هوية مصر التى شغلت المفكرين والمصريين عمومًا فى أوائل القرن الماضى وظلت تطفو على السطح بين الحين والآخر لتكون مصر مرة فرعونية وأخرى عربية وثالثة ذات توجه أوروبى أو أفريقى أو .. أو .. وفى كل الأحوال كان أنصار أى من الاتجاهات يحاولون تأصيل كل الأفكار التى تخدم رؤيتهم مع تجاهل حقيقة أن مصر بتراثها وحضارتها الممتدة فى أعماق التاريخ أشبه ببوتقة إجتمعت فيها كل العناصر وإختلطت وتشبعت بالروح المصرية لتفرز هويتها الخاصة جدًا .

وإذا كانت قضية هوية مصر قد طفت بوضوح على السطح خلال السنوات العشر الأخيرة وعقب تداعى العديد من الأحداث التى فرضت

إعـادة النظر والتسـاؤل عن مـفاهيم الوحـدة والقـوميـة العـربية والهـوية الإسلامـية، فإن الأستـاذ بدر الرفاعى يشير فى مـلاحظة ذكية فى مقـدمة دراسة هوية مصر بين العرب والإسلام والتى نقلها إلى العربية إلى أن قضية هوية مصر لا تطفو على السطح إلا فى الفترات التى يتـعرض فيها المجتمع لأزمات حـادة أو مفـترق طريق تاريخى ، لتـكون محاولات البـحث عن الهوية بمثـابة رد فعل لمنظومة القيم والأفكار التى إسـتقرت وكانت مـسئولة عن الهزيمة أو الأزمة التى يواجهها مجـتمع يفقد توازنه وتضيع منه البوصلة التى توجه حياته . . ويوضح الكاتب فكرته بتتبـعه لفقرات الجدل التاريخى حول هوية مصـر ، الذى ظهر فى أوائل القرن الماضى عندما فقـدت مصر سقف الولاء العـثمانى الذى كـانت تستظل به ثم الملابسـات التى عاشتـها المنطقة العربية ومصر خلال الربع الأخير من نفس القرن والتى شهدت عودة تردد الصدى المصـرى والفرعونى ، الذى شـهدته مصـر خلال عشـرينيات وثلاثينيات القرن العشرين .

والجدير بالملاحظة أن الدراسـة التى أعدها كل من ج جـانكوفسكى و أ. جرشونى تحت عنوان «هوية مصـر بين العرب والإسلام» . والتى تتناول أفكار رواد الفكر المصرى وحوراييهم وكـيفية ظهور مفاهيم القومـية العربية والقـوميـة المصـرية وتبلورها فى إطار الـواقع الاجتـمـاعى والاقـتصـادى والسياسى الذى عاشـته مصر .- قد صورت بشكل واضح عـملية الإنتقال من التوجه القومى المصرى - العثمانى - الإسلامى التقليدى العميق الجذور.

الذى ســاد مصــر حتى الحــرب العــالمية الأولى ، إلــى التطور وتبلور فكرة الإقليمــية المصرية الجديدة ذات النظرة . الــعامة للعالم ، والتى أصــبح لها الهيمنة فى أوساط المثقفين فى تلك الفــترة ، كذلك توضح الدراسة أسباب إنهيار الفكرة الأولى وسيادة الثانية فى إطار المتغيرات التاريخية التى تدرجت فى فكرة القوميــة المصرية المحلية للتجاورات الإقليمــية وظهور حس قومى مصرى أكثر تــوجهًا للخارج خلال فترة الثلاثينيــات والأربعينيات من القرن الماضى . . ولقــد عمــد البــاحثــان إلى تحليل وإســتقــراء المواقف والأفكار الجماعية بالرجوع إلى كم هائل من كتابات رواد الفكر المصرى التى توزعت بين الكتب والدوريات ، والتى حــرص المترجم على العودة إلى مــصادرها الأصلية ومــراجعتها بنفــسه للتحقق من دقــة الباحثين فى النقل والتــرجمة والفهم لــيكتشف أن بعض المعــانى المنقولة كــانت لا تش بالمعنى الحقــيقى للنص .

ولعل هذه النقطة تحــديداً تفــرض علينا أن نتســاءل عن دور الباحــثين المصــريين فى تناول وتحليل القــضــايا التى تشــغل الوطن والمواطن العــادى والأسلوب الذى تطرح به . . لقد ظهرت بالفعل عدة كتب خلال السنوات العشر الماضية تتناول فكرة القومــية المصرية وتدعو لها . . لكن هذه المؤلفات كانت صدى لجهد ورأى فردى ولم تلمس أبعاد الموضوع بالكامل أو تناقش أبعاد الفكرة فى إطار عــالم يسعى للتــوحد ويبحث عن أواصــر صلة حتى ولو كانت متخيلة لمد نفوذه السياسى والاقتصادى .

من ناحية أخرى فلعل هذه الدراسة تستدعى على الفور إلى الذهن المقولة المأثورة «أن من عرف لغة قوم آمن مكرهم» . . فبعد نكسة ٦٧ ظهرت فكرة إصدار سلسلة من الكتب والدراسات تحت عنوان إعرف عدوك وأعتقد أن الكاتب الصحفى الأستاذ أنيس منصور كان صاحب الفكرة ، التى تحمس لها الكثير من الباحثين . . ولكن ، وكما هى العادة دائمًا ، فقد تبخرت السلسلة وتوارت الفكرة وفتر الحماس ، فلم نعد نعرف عن العدو أو الصديق أو حتى الجار إلا ما تنقله إلينا الصحف السيارة والشذرات التى تجود بها أقلام الكتاب .

والدراسة التى عرضنا لها هنا ومئات الدراسات الأخرى عن أحوالنا وقضايانا والتى يقوم بها الآخرون نيابة عنا تؤكد أن الكثير من الجهات العلمية أو المجهولة الهوية راودتها نفس الفكرة وأن كانوا قد بلوروها ووضعوها فى سياق عملى لتطالعنا فى كل يوم دراسة جديدة قد تكون علمية بحق أو تتخفى وراء حيدة مصطنعة لتسريب معلومة أو فكرة بعد تخدير الأعصاب والهدف لا يعلمه إلا الله .

وإذا كنا نرحب بكل بحث وبكل دراسة ثقةً فى أن عقول أبناء مصر ومفكريها قادرة على فحصها وإدراك سلبياتها وإيجابياتها والاستفادة منها ، إلا أنه من المؤكد أنه قد حان الوقت لأن تعبر أبحاث ودراسات علمائنا عن تيار الحياة فى مصر لتجيب على الكثير عن الأسئلة المصيرية التى ستشكل وجه مصر فى قرن جديد .



# أفيقوا يرحمكم الله !

فوق أسطح المنازل غابات من الأطباق والأذرع الممدودة المتاهبة لإلتقاط موجات البث التليفزيونى من وراء البحار . . وفى المنازل تعبث أصابع الصغار قبل الكبار بأزرار الفيديو والكومبيوتر وألعاب الأتارى التى لم تعد مقصورة على البيوت ، فخرجت ليصبح لها نواديها الخاصة . . وفى المكاتب آلات إستنساخ وتصوير وإرسال واستقبال ذاكرة كومبيوترية وموظفون بلا أوراق .

ظواهر جديدة دخلت حياتنا لتجعلها أيسر وأسرع على حد قول البعض أو لتحيلها إلى جحيم كما يتصور آخرون . . وفى كلتا الحالتين وبين الرفض والقبول يكتفى كلا الفريقين بالإستفادة الوقتية المحدودة التى توفرها هذه المنجزات التكنولوجية متناسين دلالاتها الحقيقية التى تؤكد أننا على مشارف عصر جديد يختلف تمامًا عن العصر الذى عشناه خلال هذا القرن ، وأن هذا العصر الذى ولد بالفعل يحمل فى ثناياه تحولات على كل

المستويات بداية من أسلوب التفكير والتعامل مع المشاكل الحياتية البسيطة وإنتهاء بتغير الأطر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتحرك خلالها . .

ولقد كان راجى عنايت من أوائل الكتاب العرب الذين اهتموا بدراسة المتغيرات التى يمر بها العالم اليوم وأثر الانفجار المعرفى الذى نعيشه على حياتنا ومستقبلنا . . وفى كتابه **أفيقوا يرحمكم الله** ، نتعرف مع الكاتب على علم دراسات المستقبليات ومعالم المجتمع الجديد بمؤشراته ودلالاته وانعكاس ذلك على المجتمع العربى . .

يوضح الكاتب التحليل الذى وصل إليه علماء المستقبليات ، والذى يتلخص فى أن ما يشهده العالم هو مخاض ميلاد عالم جديد يختلف كل الإختلاف عن العالم الذى عشناه من قبل . . وأن المشاكل التى نواجهها الآن هى من جراء محاولة تطبيق نظم وقوانين هذا العالم القديم على المولود الجديد ، سواء من خلال دراسة أى ظاهرة دراسة جزئية بمعزل عن باقى الظواهر ، أو الإنطلاق من أيديولوجية سابقة نبعت من ظروف مجتمعية مختلفة ، أو الإكتفاء بحصر مؤشرات التغير فى مجالات الحياة دون تفهم العلاقات المتبادلة بين هذه المؤشرات .

ويسترجع الكاتب تطور المجتمع البشرى والتحولات التى مر بها وما فرضته من أنساق اجتماعية وثقافية وسياسية وإقتصادية لنشهد مولد عصر جديد - هو عصر المعلومات . ومن سمات هذا العصر إختفاء نمطية الفكر والقيم التي ثبتتها أجهزة الإتصال الجماهيرى المركزية بعد ظهور المجلات

والصحف والقنوات التليفزيونية الإقليمية والمتخصصة وظهور الفيديو والعابه التى حولت الجمهور من متلق سلبى إلى موجه للرسائل يتحكم فى الجهاز، كما يوضح الكاتب أن ظهور جهاز الفيديو قد أسهم فى تحويل الجمهور إلى شرائح منفصلة لكل منها توجهه الثقافى ورؤيته للحياة .

وعلى مستوى آخر يشير الكاتب إلى ضرورة فهم التحولات فى مفاهيم التعليم فى العصر الجديد . فقد كان جوهر عملية التعليم فى العصر الصناعي الإلتزام وتفتيت المعلومات والإنضباط الزمني على حين أن مجتمع المعلومات اليوم يتطلب خلق التفكير الناقد وإختبار المسلمات والتمييز بين ما هو مقبول فى زمننا من التراث وما هو متناقض مع صالح الجنس البشرى .

ويفسر الكاتب صيحات التحذير من الغزو الثقافى والدعوة لإحياء التراث وظهور العصبيات العرقية ، بأن السبب هو زحف مجتمع المعلومات بعد إنهيار النظام النمطى الذى فرضه المجتمع الصناعى . . ومن هنا كان من الطبيعى أن يندفع الناس إلى السبيل المعاكس برد فعل عاطفى غير عقلانى .

وهكذا يواصل راجى عنايت جهده المتصل منذ عشر سنوات ليقدم للقارىء العادى ، رؤية مستقبلية نحن فى أشد الحاجة إليها اليوم لفهم طبيعة ما نتعرض له من مشاكل وتحديات ولفتح باب الحوار لإعادة البناء ومواجهة المستقبل .



# تجديد الفكر العربى

كـانت الحلم . . وكانت الهـدف . . ونقطة التـحول التـاريخيـة التى حددت خريطة الشرق الأوسط طوال فترة الخمسينات والتسينات . . فتحت مظلة التضـامن العربى والقومـية العربية ووحـدة المصير شعـرنا أننا قادرون على مواجهـة كل التحديات وفرض الإرادة فى مواجهـة الكتلتين العظميين وأتباعهما وإختراق أفاق المستقبل نصنعه بأيدينا .

ولكن دوام الحال من المحال حتى فى السياسة . .

فبرحيل جمال عبد الناصر ثم إتفاقية كامب ديفيد وتفاقم الهجوم على مـصر ، وإرتفـعت الأصوات تـتطاول على عطائهـا وتشكك فى أهدافهـا وشهـدت المنطقة إنحسـار المد القومى وغيـاب روح التضامن والإتجـاه نحو الإنزواء القطرى . . ثم جاءت أزمـة العراق ، الكويت لتـقلب كل موازين القوى ولتكون بمثابة لطمة جديدة لمفهوم التضامن العربى . .

وفى نفس الوقت الذى طرحت فيه التـساؤلات فى العالم العربى عن هوية مصـر ، ثارت فى الساحـة المصرية تسـاؤلات من نوع آخر . . فـما

جدوى تضحيات مصر وإنكارها لذاتها طوال سنوات فى سبيل مفهوم يقوض نفسه من الداخل والأكثر من ذلك يرفضه أصحاب المصلحة الحقيقية؟! وهل كل المقدمات السابقة تنبىء عن إمكانية وجود مستقبل للتضامن العربى ؟! .

ومع تفاقم المواقف العبثية إزدادت المرارة لترتفع أصوات بعض المفكرين المصريين لتناقش قضية عروبة مصر وحقيقة هويتها من منطلق التراكمات الحضارية والتاريخية الموروثة ومقوماتها الذاتية التى تصل بها إلى مستوى الأمة من حيث الكيانات السياسية والتاريخ والدور السياسى والعراقة .

ومن هذا المنطلق وفى هذا الوقت الحرج بالذات ، الذى تسعى فيه الدول لخلق أسس ولو مصطنعة للتضامن والاتحاد ، بينما تمزق الأمة العربية روابطها وتنحو نحو قطرية محدودة ، إختار د. مصطفى الفقى أن يقدم كتابه تحديد الفكر القومى فى محاولة جادة لرسم طريق للخلاص من المأزق العربى الذى واجهته الأمة العربية منذ إنحسار المد القومى ليقدم إجابة حاسمة وقاطعة على التساؤلات المثارة حول هوية مصر وإنتماءاتها .

وفى البداية طرح د. مصطفى الفقى أشكال الصدام بين العروبة ، القومية ، والأفكار المصطنعة التى تعتبرها إنتقاصًا لمفهوم الأمة والإسلام ويردها إلى أصولها التاريخية مؤكدًا أن إشكالية التناقض بين الدين والقومية تختلف بإختلاف الأزمنة ، ويوضح أن سبب رفض بعض المفكرين

الإسلاميين للدعوة القوميــة ، أن بعض دعاة الفكر القومى خاصة فى الشام ومصــر كانوا من غــير المسلمين .ويفند د. مـصطفى الفقى هــذه الدعاوى مؤكداً أن رواد الحــركة القومية عــموماً كانوا أبناء طبيــعيين للثقافــة العربية والإسلامية وإفــرازاً لمجتمعات إسلامية تبــحث عن هوية قومية دون تناقض مع عقيدتها الروحية.

ثم يشرح الكاتب أسبــاب تفاوت تأثير مفهــوم الإسلام والعروبة على شعوب المنطقة مؤكداً أن طبيــعة كل شعب وظروفه التاريخية هى التى تحكم منظوره ففى الشام تبدو للعــروبة اليد العليا على الرغم من أن الإسلام دين الغالبيــة العظمى ، نتيجة لــلمواجهات الحادة بين العــرب والترك فى الربع الأول من القرن الحالى ، بينمــا يختلف الأمر بالنسبة للمــصريين حيث أن الإسلام قــد تأثر بالتاريخ الاجــتماعى للعــصر الفاطمى وبــطبيعــة الشعب المصرى الذى لم يدخل فى مواجهات حادة مع خصم مسلم .

ويرى الكاتب أن الدين والقــومية أحيــانًا يقفان فى مــواجهة واضــحة صريحة وأحــيانًا تتداخل مؤثرات كل منهــما ليصبحــا تياراً إسلاميًــا عربيًا واحداً يجمع الصفوف ويوحد الكلمة لصالح الأمة العربية كلها .

ثم يمضى الكاتب فى دراسته مستعرضًا جذور الحركة القومية فى الشام والثورة العربية بقــيادة أمير مكة الشريف حسين والتى أُعتــبرت أول مواجهة لعدو دون التركيز على الجانب الدينى كــمحاولة للخروج من دائرة السيطرة الاجتماعية التى فرضت قرونًا من التخلف والهوان تحت اسم الدين . . ثم

يستعرض التنظيمات القومية فى الشام وما لها وما عليها .. ثم يصل الكاتب إلى أهم إشكالية يطرحها فى كتابه إلا وهى المصريون وقضية العروبة فيقول «إذا كان عامل اللغة هو الفيصل فى أركان الهوية المصرية فإن الأمر بهذا المفهوم يكون محسومًا فمصر أصبحت عربية اللسان يوم قبلت الكنيسة القبطية مع بداية العصر الفاطمى إقامة الصلوات باللغة العربية وترجمة النصوص المقدسة إليها .. منذ ذلك الحين تحولت مصر بكاملها إلى عروبة خالصة .. لكن الأمر بالنسبة لمصر والمصريين لا يمر بهذه السهولة فالمسألة مركبة ..

ويستطرد الكاتب موضحًا ومعددًا أسباب تعقيد القضية بداية من التراكمات الحضارية والتاريخية منذ حملة نابليون ومقاومة محمد على للخلافة العثمانية مرورًا بثورة عرابى والإحتلال البريطانى وثورة ١٩ والحياة السياسية فى مصر حتى منتصف الخمسينات عندما تبلور المضمون القومى للبعد العربى المصرى على يد جمال عبد الناصر الذى اعتبر أن عروبة مصر قدر ومصير وحياة ..

وفى فصل آخر يناقش الكاتب أسباب ونتائج نكسة الشعور القومى خاصة بالنسبة للبنان والقضية الفلسطينية . ثم يطرح الكاتب تصوره لتجديد التيار العروبى ليتمكن العرب من مواجهة المتغيرات العالمية من حولهم وللوصول لصيغة للتعامل مع الحلم العربى والمواءمة بين الأمن المصرى

والأمن العـربى وتطوير الجامـعة العـربية وتحديـث دورها وتأكيـد وجودها السياسى وفقًا لروح العصر .

ويختتم المؤلف كتابه مؤكداً أن دور مصر العربى ضرورة وليس إختياراً وأن الجدل حول هوية مصر وإنـتمائها يعنى تميز شخصيتـها وتفردها وتعدد جوانبـها ولا ينتقص من إنتـمائها القومى العـربى ، فعروبة مـصر حقيـقة تاريخية وضرورة مسـتقبلية . . وحتى لو فترت الروح القـومية فى مصر أو الدول العربيـة إلى حين فسـوف يظل لمصر رصـيدها الثابت من مـواقفـها السياسية ودورها الثـقافى فى نفس كل عربى ، وهو بالقطع يكفى لأن نبدأ من جديد لتجديد روح الأمة وبعث التيار العروبى .

❁

# ٩ يحيى حقى .. بين الهوية المصرية والحضارة العالمية

ونحن على مشارف نهاية قرن وجدنا أنفسنا مرة أخرى فى مواجهة القضية التى فرضت نفسها على المصريين فى بداية القرن . . عادت من جديد قضية العودة للمنابع وتأصيل الهوية الثقافية ، فى مقابل فكرة الغزو الثقافى ودعاوى التغريب بكل ما تحمله هذه المواجهة من أفكار ، بعضها سطحى والبعض مدروس ، أو التكريس لثقافة على حساب أخرى أو تسطيح حضارة وتفريغها من معناها الحقيقى لتصبح مجرد رمز أجوف لا صلة له بالواقع .

فى ظل هذا المناخ فرض إسم يحيى حقى نفسه كواحد من أهم الكتاب والمثقفين فى هذا القرن . فقد إستطاع يحيى حقى من خلال أعماله الروائية وتجاربه فى ظل الثقافة العالمية أن يقدم رؤية دقيقة عملية لمشكلة الصراع بين حضارتين وأن يحل منذ حوالى نصف قرن المشكلة التى عادت لتفرض نفسها على حياتنا وفكرنا اليوم .

ففى العشرينات من هذا القرن ومع تزايد موجة مقاومة الإحتلال وإتصال عدد من الرعيل الأول من مثقفى القرن العشرين بالحضارة الأوربية وإنبهارهم بها بدون قيد أو شرط وتصورهم أن الحل الوحيد للخروج من بؤرة التخلف هو نسف كل التقاليد والموروثات الشعبية ، وتبنى كل مظاهر الحضارة الأوروبية ، فى هذا المناخ بدأت تتبلور فكرة الهوية المصرية . وحاول البعض مثل د. طه حسين تتبع إنتماء الحضارة المصرية وربطها بحضارة دول البحر المتوسط . وفى المقابل إشتدت التيارات السلفية الرافضة لأى محاولة للتجديد وإعتبرت كل جديد نوعًا من الضلال .

فى هذه الفترة المتوترة المشحونة بالإنفعالات والإتهامات توالى ظهور أعمال يحيى حقى التى شكلت مزيجًا فريداً من التفاعل بين تكوينه المصرى الأصيل وتجربته الحية فى أحياء القاهرة الشعبية وقرى صعيد مصر ، وبين الثقافات الأوربية والشرقية التى يتعرف عليها بحكم إطلاعه وعمله لفترة طويلة فى السلك الدبلوماسى . فقدم يحيى حقى أعمالاً أدبية شديدة التركيز ، إتضحت فيها خصوصية الواقع المصرى من خلال عادات الناس ومعتقداتهم وممارساتهم اليومية ، وحتى بأستخدام ألفاظهم العامية . وعبر من خلالها عن مفهومه للمواجهة بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .

فعندما حاول الدكتور إسماعيل بطل قنديل أم هاشم أن يقطع الصلة بتاريخه وكل المعتقدات التى آمن بها فى صباه وأن يطبق روح العلم المجردة ليغير الواقع من حوله وينقذ حبيبته وأهل حيه ، لم يستطع أن يؤثر فى أى

شيء أو يغير أى قيمة . فأصبح معزولاً عن المجتمع ومرفوضًا منه . ثم كانت لحظة التنوير عندما إكتشف البطل أن التغيير لا يمكن أن يحدث إلا بفهم الواقع والتعاطف معه والإعتراف بالإنتماء إليه وإكتشاف عناصره الإيجابية التى يجب أن تستمر أو تتطور مع إنتقاء العناصر الإيجابية من الحضارة الغربية وإدراك مشاكلها .

نفس المفهوم تكرر فى أعمال يحيى حقى التالية ليبرز من خلال غوصه فى الواقع المصرى وخصوصية التجربة المصرية وليزيل وهم تسطيح الحضارة الغربية وتفريغها من معناها لتصبح مجرد رمز مادى يعبر عن الجنس والشهوات . إن تجربة يحيى حقى وتجارب جيل الرواد عمومًا وما وصلوا إليه عبر سنوات من التأمل والتفكير فى قضايا مجتمعنا تدفعنا دائمًا للتساؤل . . . لماذا نبدأ دائمًا من النقطة التى بدأوا منها ونتناسى ما وصلوا إليه ؟!

❀

# ١٠ حرية التعبير

# أحزان الصحافة والتاج المفقود

**«كتاب تجيء فصوله فى زمانها ومكانها»**

هكذا لخص بصراحة وبكلمات ترشق قلب الهدف ، الأستاذ محمد حسنين هيكل ، فى أول سطر من مقدمته لكتاب الأستاذ صلاح الدين حافظ (أحزان حرية الصحافة) أهمية صدور هذا الكتاب فى هذه اللحظة بالذات ، بكل ما يثيره من قضايا حيوية لا تمس أصحاب المهنة وحدهم والساحة السياسية ، بل يمتد أثرها لينعكس على جمهور القراء بأسره . فالصحافة فى العالم اليوم وفى العالم الثالث على وجه الخصوص ، أصبحت تواجه الكثير من التحديات التى يفرضها عليها التقدم التكنولوجى والوقوف على مشارف قرن جديد له آلياته ومفاهيمه ومتطلباته الخاصة والمختلفة إلى حد كبير عن صحافة أوائل القرن العشرين وتزداد حدة المشكلة بالنسبة لدول العالم الثالث مع تزايد الأعباء المادية وتكاليف

التكنولوجيا الباهظة والتأرجح وعدم وضوح عدة مفاهيم كالمالية الخاصة والعامة وحرية الرأى وحرية تبادل المعلومات ومفهوم الديمقراطية ومحاولة الحفاظ على السيادة السياسية للأنظمة الحاكمة .

وحال الصحافة فى مصر لا يختلف كثيراً عما تعانيه صحافة العالم الثالث . فرغم الدور التنويرى الذى لعبته الصحافة على أيدى روادها ، إلا أنها اليوم تقف فى مفترق الطرق نتيجة للمشاكل التى تكبلها وتشل حركة أبنائها . فالصحافة فى مصر تنوء اليوم بأعباء ثقال ورثتها عن العهود السابقة بداية من فترة الصحافة الحزبية ثم عهد تأميم الصحافة ثم العودة للتعددية الحزبية . فمع تغيير العهود والسياسات وتعدد الحكام والإتجاهات تراكمت المشاكل فعرقلت عملها وضغطت على الصحفيين بالقيود والقوانين الحافلة بألوان الإضطهاد والتعسف والتهديد بالفصل والتشريد . فضلاً عن الضغوط والإجتماعية التي خلقت داخل نفوس أبناء المهنة شبه رقيب ذاتى يحركهم بصورة لاواعية ليحولهم لمجرد موظفين روتينين ، لتفقد الصحافة بريقها ويتقلص دورها كأداة مؤثرة فى التغيير وخلق رأى عام . وفى نفس الوقت الذى كان الخوف فيه من الوقوع تحت طائلة القانون يمثل القوة الضاغطة على أهل المهنة ، تفشى مرض بريق المنصب وإغراء السلطة لتتدهور في ظله كثير من القيم والمبادىء وتنتهك حرية الصحافة وشرف الكلمة ومصداقية الصحافة والصحفيين ولتهبط لغة الحوار فتعطى الفرصة لرافضى حرية الصحافة وإستقلالها للتدخل السافر والاختراق العلنى والإنتهاك الصريح لحرية الصحافة وقدسيتها .

ويوضح الأستاذ صلاح حافظ بعداً آخر من أبعاد مشكلة الصحافة فى مصر ، وهو الحساسية المتبادلة بين السلطة والصحفيين التي تفاقمت بظهور مفهوم مغلوط لحرية الصحافة فى ظل التعددية الحزبية مما نتج عنه ممارسات خاطئة أدت بالتبعية لردود فعل عنيفة مما أصاب السلطة التنفيذية والصحفيين بحساسية للإتجاه الآخر .

ولعل الفكرة الأساسية التى أكدها المؤلف على طول صفحات كتابه هى أن الصحافة كيان يتفاعل ويؤثر ويتأثر بالمجتمع . فالصحافة الحرة لا توجد ولا تمارس عملها وتؤدى دورها الحقيقى إلا فى مجتمع ديمقراطى يتمتع مواطنوه بالحرية العامة وإن حرية الصحافة هى الإمتداد الطبيعى لحرية التعبير وهى فى نفس الوقت مقدمة طبيعية للوصول للحريات الأخرى . من هنا نجد أن النضال من أجل حرية الصحافة يكتسب أبعاد أكبر من مجرد الدفاع عن مهنة ، ويصبح الدفاع عن كرامة المهنة دفاعًا عن حق المجتمع فى باقى الحريات . ويصبح فقدان الصحفى لحريته مساويًا لفقدان المجتمع فى حقه فى المعرفة .

وفى هذا الإطار يعرض الأستاذ صلاح الدين حافظ لكل أبعاد فكرة الحرية وحرية التنقل وتلقى المعلومات . ويوضح إرتباط قضية حقوق الإنسان بقضية حرية الصحافة ، مؤكداً أن الخوف لا يصنع خبراً وأن التخلف لا يمنح الإحترام وأن جوهر حرية الصحافة يتمثل فى التدفق الحر للمعلومات وليس فى مجرد إستخدام الألفاظ الطنانة الساخنة . فلا يوجد رأي دون معلومة حقيقية .

وينهى الكاتب سطوره مؤكداً أن الـصحافة فى مصر ليـست فى حاجة إلى تشريعـات وقوانين جديدة بقدر إحـتياجـها إلى إزالة ما تبقى من قـيود قانونية وإدارية سيـئة السمعة أدت إلى الشعـور باليأس وولدت موجات من السخط وأن الحل هو وضع صياغة جديدة تحدد العلاقة بين السلطة التنفيذية والصحافة لتـقوم الأخيرة بدورها دون إسفاف ، حـتي لا يضطر الصحفى لتسـويد الصفحات بموضـوعات أشبـه بالتعبيـر المدرسى خوفًا من التـشرد وإهدار كرامته ، ليـصبح الرأى الحر حواراً بين الصحفـى والقارىء وليعود لصاحبة الجلالة تاجها المفقود .



# ١١ خطر المصادرة يطارد الإبداع
# إذن حكومي قبل النشر!

«يوميات ضابط فى الأرياف» هو عنوان الرواية التى أثارت ثائرة بعض قيادات وزارة الداخلية عند صدورها ، وفجرت الأزمة بين المؤلف حمدى البطران - الذى مازال يعمل بجهاز الأمن وقياداته - حتى وصل الأمر إلى عقد مجلس تأديبى للمؤلف ، وإتهامه بالإخلال بواجبات وظيفته، ووقفه عن العمل لمدة شهر . .

والرواية محل الجدل تتناول ممارسات الشرطة فى إحدى قرى مصر وتعقبها لفلول الجماعات الإرهابية من خلال عينى ضابط شرطة يرصد بعين واعية السلبيات والإيجابيات والعوامل المتشابكة المحيطة بالموضوع كله من خلال مزج الواقع بخيال المؤلف ورؤيته الفكرية.

ورغم أن محاولة الكاتب حمدى البطران لم تكن الأولى من نوعها فى تاريخ العمل الأدبى فى مصر ، فالرواية تستدعى للذهن من الوهلة الأولى الصورة التى رسمها الكاتب الكبير توفيق الحكيم فى «يوميات نائب

فى الأرياف» عندما قدم صورة لجهاز الشرطة والجهاز القضائى ، وكشف لأول مرة ما يشوب العملية الإنتخابية فى الريف من سلبيات ، و ما قدمه بعد ذلك كل من الاستاذين يحتى حقى وسعد الدين وهبة فى كثير من الأعمال الأدبية القيمة مثل «المحروسة» و «السبنسة» لسعد الدين وهبة . رغم ذلك فقد جرد بعض قيادات وزارة الداخلية العمل من سماته الادبية ، واعتبروه مجرد تقرير كان على الضابط المؤلف أن يأخذ إذنا بنشره قبل إصداره فى كتاب ؟؟؟

وبعض النظر عن تقييم رواية «يوميات ضابط فى الارياف» من ناحية الفنية ، وإذا ما كان حمدى البطران قد نجح فى محاكاة يوميات الحكيم أو فى أن يطاول قامة سعد الدين وهبة زميل السلاح السابق فى أعماله التى عرضت لجهاز الأمن . . بغض النظر عن كل الاعتبارات الفنية أو الاسلوب، فإن هذا لا يجرد العمل من كونه عملا إبداعيا يمثل رؤية وفكر كاتبه ، ولا يخضع لمنطق الحصول على تصريح من جهة العمل . . ولنا ان نتصور ما كان سيئول إليه إبداع نجيب محفوظ - الذى امضى سنوات عمره فى دواوين الحكومة وإستقى من شخصياتها والمواقف التى قابلها فيها ، الكثير من أعماله - لو انه اضطر فى كل مرة إلى الحصول على تصريح بالتأليف؟؟

من هنا جاء تدخل إتحاد الكتاب لمصلحة المؤلف حمدى البطران ومساندته فى مجلس التأديب الاستئنافى ومطالبته بالغاء قرار مجلس التأديب الأدبى . .

ففى واقعة غير مسبوقة اتخذ اتحاد الكتاب قرار بإنتداب أحد أعضائه من القانونين للدفاع من مؤلف رواية يوميات ضابط فى الأرياف بعد أن قرر المجلس التأديب الابتدائى وقفه عن العمل لمدة شهر . .

والحقيقة أنه رغم مناخ الانفتاح الذى شهدته الثقافة المصرية على مدى السنوات الماضية وتأكيد حرية التعبير والإبداع ومحاولات التعرف على الأخر والتواصل معه على الصعيد العربى الدولى وظهور الكثير من المفاهيم الثقافية الجديدة مثل مفهوم التجريب وورش العمل الفنى وصدور قرار جمهورى بمنع مصادرة أى كتاب دون سند قانونى . . رغم كل هذه الظوهر الايجابية فإن حياتنا الثقافية قد شهدت فى الأونة الأخيرة ظاهرة مروعة تتمثل فى المطالبة بمصادرة بعض الكتب وتحويل مؤلفيها إلى المجالس تأديبية أو مثلوهم أمام القضاء دونما سبب واضح كما حدث فى حالة المؤلف حمدى البطران مؤلف رواية يوميات ضابط شرطة فى الارياف . وكما حدث مع الكاتبة التى حاولت أن تقوم بنفس التجربة من منظور الباحثة الاجتماعية ثم توارت عن الأنظار خشية العواقب واعتبار ألف ليلة وليلة نصا إباحيا يتطلب المنع وأخيرا وليس أخرا محاولات منع تداول رائعة جبران «النبى» . .

من هنا فإن إتحاد للكتاب يجب أن يكون له رأى فيما يتعلق بقرار الرقيب العام الذى يقف موقفا مضادا لهذه الكتب وأن يكون للاتحاد من يمثله فى هذه المواقف أسوة بما يحدث فى الرقابة على الأفلام عندما تنشب

مشكلة . . فنشـر الروايات الخيالية لا يحـتاج لاذن من أية جهة ولا يعـتبر إخلال بالواجب الوظـيفى . والأهم من ذلك إنه يجب على إتحـاد الكتاب أن يتبنى مـنطق الحوار وإلا يقع فى فخ تمثيل دور محاكم التـفتـيش ليصل الأمر بأحد أعضاءه لأن يطالب بفصل نجيب مـحفوظ من الإتحاد لإعتراضه على قرار فصل الكاتب المعروف على سالم !! .

إن قضيـة حرية المبدع والمفكر من أهم القضايا المطروحـة على الساحة الثقـافيـة الآن لا فى مصر وحـدها ولكن فى العالم العـربى ككل . ومن المفتـرض أن مصر بموقـعها الثـقافى يجب أن تأخذ زمـام المبادرة لحل هذه الإشكاليـة التى أصبـحت تهدد حرية المـبدع وتشل حركـته أو تجـعله يتلو الشهـادتين إذا ما أصدر كتـابًا ومر دون أن يتعرض كـاتبه لدعوة حسـبة أو تكفـيـر أو تفـريق عن عن الزوجـة أو الزوج أو على أقل تقـدير إتهـامـه بالإخلال بالواجب الوظيفي أو خيانة الوطن !!

❁

# فى الثقافة

## ١٢ سيف عنترة ..

«فى كل بلد كـان هناك حراس للوطن يتـفضون للدفـاع عنه عند أى خطر يهدده ، حتى انتهى عهد السيوف فامتشقوا الأقلام . .

بهذه السطور التى تتصدر مؤلفـه «الكوميديا الإعلامية» يأصل الإذاعى والكاتب اللامع إيهاب الأزهرى عطاءه الثرى والممـتد الذى بدأه مع الإذاعة المصريـة منذ عام ١٩٥٣ من خلال بـرامجه وأعـماله الدرامـية ومـحاولاته لتبـسيط العلوم . . لكن العطاء فى هذه المرة يأخـذ طابعًا جديدًا، ، غـير مألوف إذ يخرج الميكرفون من بين جدران الإسـتوديوهات الضيقة ومن بين أصابـع المذيع الواحد إلى رحـاب الشارع المصـرى لتتـبادله أيدى الكـتاب والفنانين ورجل الشارع الـعادى ، فيطلق إيهـاب الأزهرى وبجرأة ، العنان للأفكار والمشاعر الحقـيقية لتحدد فى أسلوب لاذع أوجه القـصور والعيوب فى وسائل الاعـلام ، ولتتحول كلمـات الكتاب ولوحات الكاريكاتيـر عبر صفحات الكتاب إلى مبضع جـراح ذكى أو سيف أشبه بسيف عنترة المدافع عن الحمى والجوار .

والمؤكد أن كتـاب الأستاذ إيهاب الأزهرى قد يصـدم البعض بما تحمله صفحاته من إنتقادات لاذعة . . لكن أوجه النقد التى أوردها الكاتب سواء على لسانه أو مـن خلال كتـابات ولوحات الأخرين حـقيقـية وبعـيدة عن المبالغة . فـالهدف الحقيقى من وراء هذا الكتاب الذى يقطر مـرارة هو تنبيه العقل ليـحمى النفس مما يفسدها وأن يلعب الإعـلام دوره الحقيقى ليـبعث دفء الثـقافـة ويغـرس بذور الإبداع فى العـقل المصـرى . . وبعيـداً عن العبارات الإنشائية فلقد أكدت الدراسات السياسـية والاجتماعية والنفسية أن وسائل الاعـلام تعد من أهم ملامح هذا الـقرن وأنها لعـبت دوراً هامًا فى حياة رجل القرن العشرين حيث إستمـد منها كثير من صور واقعه ، وكون من خلالها كثير من آرائه ومعتقداته التى شكلت عالمه الخاص . . الأكثر من ذلك أن وسائل الاعـلام تعكس المجتمع وتغـيره وتتغيـر معه وأنهـا وسيلة للإصلاح وإعادة تشكيل المناخ .

من هذا المنطلق أثار الكاتب مفـهوم إفساد العقـول بالتنقيط من خلال تكرار تيـمـات مـعـينة تؤدى مع الوقـت إلى تغـيـر نسق القـيم والأفكار والإغتـراب عن الواقع . . ثم يطرح الكاتب مفـهوم الترفـيه التعـليمى التى بدأت وسائل الإعلام الأمريكية فى تبنيه بعد أن دقت أقلام الكتاب نواقيس الخطر عندما لاحظوا هبوط مستوى الـتعليم والذكاء والإبتكار والإختراعات فى أمريكا بالمقارنة باليابان .

والكتاب فى مجموعة يعد صيحة تحذير ضد عملية تخريب العقول التى تتم بصورة قد تكون لا واعية . . أما بدافع التقليد الأعمى أو الجهل أو سعيًا وراء المكسب المادى ، كما يحدث عند مط المسلسلات !! ومع ذلك فمما يثير الدهشة أن الكتاب يبدو فى بعض أجزائه مقطع الأوصال نتيجة لحذف بعض فصوله لأسباب لا يعلمها إلا الله والمؤلف الذى يورد فى نهاية الكتاب قائمة طويلة من المحذوفات دونما أى تعليق !! .

ولكن وبالرغم من هذه الإختصارات التى تستثير شهية التخمين لدى القارىء ، فإن أسلوب إعداد الكتاب وطريقة إخراجه المبتكرة وكلمات كتابنا ونبض الشارع المصرى المحسوس عبر الصفحات كلها توقظ العقل من سباته ، ليظل السؤال الملح أمام عينى القارىء حتى بعد أن يغلق الكتاب . .

**«يا راديو .. يا تليفزيون ..**

**ماذا فعلتما بعقلى ؟! ..»**

❁

# ١٣ الإسلام وفن التصوير

جـرت العـادة أن تسلط الأضـواء على ذوى المنـاصب ثم لا تلبث أن تنحسر عنهم ليعيشو فى الظل بمجرد أن تزول المناصب لغيرهم .

لكنه كسـر القاعدة ، فبـقدر ما أثرى الحيـاة الثقافيـة إبان توليه منصب وزير الثقافة ، بقدر ما تضاعف عطاؤه بـعد أن هجر العمل السياسى وتفرغ للعطاء الفكرى فى مجـالات التأليف والترجمـة وتحقيق التـراث والأعمال الموسـوعيـة .. فظل ثروت عكاشة دائمًـا ملء السمع والعـقل وأحـد رموز الثقـافة العـربية لا على المسـتوى المحلى فـقط ولكن على المستـوى الدولى أيضًا .

ولقد جسدت مؤلفات وترجمات ثروت عـكاشة رؤيته لمفهوم الثقافة ، وما حـاول أن يحققه فى مـصر خلال الستـينات من خلال أعمـاله المتنوعة بداية من إنقـاذ لآثار النوبية إلى إحـياء الـفنون الشعـبيـة وتشجـيع الفنون الرفيعـة. ولقد إختار د. ثروت عكاشة عندما تصـدى للعمل الموسوعى أن يطرق مواضـيع غير مـألوفة وتثير الجـدل ، فقد طرح من خـلال مجلدى معـراج نامة اللذين تضـمنا النص وشروحـه وصور الأثر بألوانهـا الأصلية

مشروحة ، قضية التصوير فى الإسلام وموقف علماء المسلمين من التصوير الدينى ومصادر التصوير الإسلامى وتأثيره وتأثره بالفنون الأخرى . .

واستكمالاً لمسيرته قدم د. ثروت عكاشة مجلداً لا يقل أهمية عن المجلدات التى سبقته هو مخطوطات الواسطى من خلال مقالات الحريرى . . والتى تعد من أشهر مخطوطات مدرسة بغداد حيث حظيت بشعبية واسعة خلال القرن الثالث عشر ، وتعد اليوم من أهم مقتنيات دار الكتب القومية فى باريس . والمخطوط الذى يتناوله د. ثروت عكاشة بالشرح والتحليل لا يستمد أهميته من مجرد كونه شكلاً ناضجًا من أشكال المقامة من حيث التركيب اللغوى أو من حيث كونه يعكس بوضوح روح العصر الذى كتبت فيه المقامات ومشكلاته وطبيعة البيئة العربية ، فالمخطوط يعد أيضًا مرجعًا هامًا لفهم طبيعة الفن الإسلامى من خلال دراسة منمنمات المخطوط التى رسمها الفنان يحيى بن محمود ، الذى اشتهر بلقب الواسطى نسبة إلى موطنه فى العراق .

وبدراسة المائة منمنمة التى تحتل مائة وسبعًا وستون ورقة ، كل واحدة منها سبعة وثلاثون سنتيمتراً وعرضها ثمانية وعشرون سنتيمتراً استطاع د. ثروت عكاشة أن يدحض فكره أن الفن الإسلامى فن غير إنسانى ولا يمكن أن تتجلى من خلاله شخصية مبدعة . .

فمنمنمات المخطوط بألوانها الأصلية التي يضمها الكتاب مضافًا إليها شروح د. ثروت عكاشة توضح أن الفنان العربى إبتدع لنفسه أسلوبًا خاصًا، كان مزيجًا ما بين التأثر بفنون الحضارات الأخرى والحضارة العربية

وطبيعة شخصيته ، ليقدم لوحات غنية بموضوعاتها وعناصرها ، وتتنوع ما بين تصوير الطبيعة والحياة اليومية والدينية والعمائر الإسلامية ، تعكس الحياة والتقاليد فيما بين القرنين الثانى والثالث عشر . .

ولم يكتف د. ثروت عكاشة بتقديم نص المقامة والمنمنمة المعبرة عنها وشرحها ، بل يزيد على ذلك بتقديم دراسة عن فن المقامة وتاريخها وملامحها كفن قائم بذاته ومراحل تطوره ليصبح أشبه بقصة متتابعة الأحداث ، متعددة الشخصيات تنقل للقارئ عبرة غير مباشرة أو تعبر عن رأى الناس ، كما قدم المؤلف نبذة عن إنتقال المقامات إلى الأندلس حيث إكتسبت فيها طابعًا قصصيًا مغرقًا فى الشعبية فأصبحت تصور المجتمع الأندلسى بصورة واقعية وسخرية لاذعة ولتتحول بذلك من مجرد تمرين لغوى إلى لون من القصة الاجتماعية النقدية . . ثم قدم المؤلف فصلاً عن التصوير العربى فى القرن الثالث عشر وأسلوب مدرسة بغداد ، يتلوه فصل ثالث عن العناصر التشكيلية والجمالية والمخطوط ، ثم فصل رابع عن موضوعات الواسطى المصورة ، وأجزاء موجز لكل مقامة وتفصيل وشرح كل منمنمة . . والحقيقة أن المتعة التى يثيرها هذا المجلد القيم شكلاً ومضمونًا سواء على المستوى العقلى أو البصرى وما يضمه من أفكار ومعلومات تصحح كثيرًا من المفاهيم الشائعة والمغلوطة عن الفن أو الحياة الإسلامية عمومًا فى الماضى ، لكن السعر الذى وضعه الناشر على غلاف الكتاب الخارجى يستدعى إلى الذهن على الفور قضية كيفية وصول الفكر الحقيقى إلى كل الناس اليوم لتصبح الثقافة للجميع فى ظل إرتفاع أثمان الكتب . . .

# ١٤ هموم المسرح المصرى
## من أين تبدأ ؟

عندما تظلم معظم المسارح ويتحول المسرح من سكة سلامة وقضية إلى مجرد عين حمرا ووحش وجميلة يحزمها خيشة الذى أكل الجوز واللوز .. عندما يغير بعض رواد الفن المسرحى الذين أضاءوا المسارح والعقول وقدموا للمسرح المصرى أجمل أعماله ، جلودهم ليتحول المسرح إلى سلعة إستهلاكية تهين نفسها قبل أن تهين جمهورها وتهدد هويتنا وثقافتنا على المستوى الفردى والجماعى .. عندما يحدث ذلك لا يكفى التباكى على ما وصل إليه الحال ، بل يجب على الفور أن نعيد فتح كل الدفاتر لنعيد الحسابات ونناقش المسلمات لتشخيص الداء وتحديد والدواء.. وهذا بالضبط ما فعله د. على الراعى رحمه الله فى كتابه **هموم المسرح وهمومى** ، والذى مزج فيه بين سيرة حياته ومسيرة المسرح المصرى وهمومها المشتركة . فيفجر الكاتب على صفحات كتابه القضية تلو الأخرى والتى لا تعكس فى مجملها هموم المهتمين بأمور المسرح فقط ، بل أيضًا هموم أى مصرى يدرك تأثير القيم والسلوكيات التى يبثها المسرح

على لسان أبطاله الذين رفعهم الجمهور ، وأصبح يعتبر ألفاظهم وقفشاتهم وحركاتهم على المسرح بمثابة دستور للسلوكيات اليومية .. يبدأ المؤلف كتابه بإستعراض سيرته الذاتية مع فن الفرجة أو المسرح بداية من إنبهاره بفن الأراجوز وخيال الظل ورحلته لدراسة المسرح فى انجلترا حتى عودته لمصر من جديد فى منتصف الخمسينات ومشاركته فى قيادة الحركة المسرحية سواء من خلال موقعه كرئيس لمؤسسة المسرح فى الستينات أو من خلال دراسته وكتبه ومشاركته الفعلية فى بناء مسرح عربى خارج الحدود بعد بذلك . وفى هذا الجزء من الكتاب يلقى الكاتب الضوء على رحلة المصاعب التى خاضها وشاركه فيها أسماء لم تسلط عليها الأضواء ، فكانوا جميعًا أشبه بالجندى المجهول الذى حمل رأيه الفن ليراها ويعترف بها كل الناس ، بعد أن أقاموا كيانات مسرحية حقيقية كالمسرح القومى ومسرح الجيب والعرائس والفنون الشعبية والسيرك ومعاهد الفنون ، التى تناقش اليوم مشاكلها ومسالبها ودورها المفقود ، متناسين أحيانًا أنها لم تكن موجودة قبل أربعين عامًا .. وفى هذه الجزئية بالذات يستعرض المؤلف كثيراً من المعوقات التى واجهت مؤسسة المسرح ، مثل تضارب مفهوم المسرح بين القيادة السياسية والقائمين على العمل المسرحى وإختلاط مفهوم الثقافة بالإعلام . كما يوضح الكاتب أحد أسباب إنتكاسة المسرح ، فبعد أن كان مسرح الستينات يناقش قضية سياسية كاملة مثل تأليه الزعيم أو عزلة القائدة - كما ظهر فى الشبعانين والفتى مهران والبر الغربى - تحول المسرح بعد نكسة ٦٧ إلى مسرح الموالد ثم مسرح النكتة السياسية التى قد يلتقطها المؤلف من الشارع ليحولها إلى نص، غالبًا ما يفرغ النكتة من

معناها تحت سطوة الأفيهات والحركات المبتذلة ومغازلة غرائز الجمهور .. كما يرى الكاتب أن بعض مسرحيات الستينات التى إستهدفت نقد ممارسات السلطة أدت إلى وضع مفهوم المسرح الجاد فى القائمة السوداء بوصفه خطراً يهدد الأمن ..

وفى فصل تال يتعرض د. الراعى للوضع الراهن وتأثير تحديات الحداثة - مثل التلفزيون والفيديو على المسرح ، فى ظل عصر يعبد التكنولوچيا ومنجزاتها ويقلل من شأن الدراسات الإنسانية والفنون عموماً، كما يطرح الكاتب قضية المسرح الغنائى والمسرح التسجيلى ومسارح الشباب والأقاليم وقضية بيع مسارح الدولة فيقول .. «إن علاج الكبوه الحالية لا يكون بشهر السكاكين أو التشكيك فيما تم إنجازه .. فالمسرح لا يباع بل يلقى المساندة والتمويل والدعم فى كل بلاد العالم حتى فى إطار الأيديولوچية الرأسمالية التى تقدم العون للفنون المختلفة سعياً وراء رقى الأمة والإنسان ، ثم يستطرد موضحاً «إن الخلل فى مسارح الدولة مرجعة الإدارة وسوء التنظيم ولا يعود إلى قلة المسرحيات الصالحة ويرى د. الراعى أن حل مشاكل مسارح الدولة يتلخص فى إنهاء النظام المسرحى الموظف والأخذ بمبدأ الفنان المرتبط بفرقة ما بعقد وأن يتعرف المسرح على صيغة مسرحية جديدة تشمل الفكر والفرجة معاً وتحقق التواصل المباشر بين المؤدى والجمهور بعد أن هاجر مسرح القيم الذى إستقطب جمهور الستينات إلى الشاشة الصغيرة على يد عدد من الكتاب الواعين مثل محفوظ عبد الرحمن وأسامة أنور عكاشة ..

ومن الغريب أنه بالرغم من إهتمام د. على الراعى الواضح بقضية الجمهور ، إلا أن القارىء وبعد أن يلم فى سياق سهل ، بعيد عن المصطلحات المعقدة والأفكار الغامضة بالتيارات التى تموج بها الساحة المسرحية والثقافة العالمية عموماً فى إطار ليس معزولاً عن الواقع ، هذا القارىء سيفتقد فى صفحات الكتاب التى تقترب من الخمسمائة تحليلاً مباشراً ، كان ينتظره من الكاتب ، حول وضعية وسيكولوچية جمهور التسعينات وهل تغيرت طبيعته وإحتياجاته عن جمهور الستينات وما بعدها.. وإذا كنا قد اعتدنا على الجدل الصاخب الذى تثيره المذكرات السياسية بعد نشرها ، فلعلها تكون المرة الأولى التى تثير فيها مذكرات مسرحية جدلاً أو تثير خلافًا .. فرغم أن الدكتور علي الراعى نفسه قد أفرد بضع صفحات من كتابه ليناقش فيها أسلوب كتابة المذكرات وما تتطلبه من الناقد من جهد لإعادة ترتيب وتغير النسب والأبعاد التى يرسمها الفنان فى مذكراته لنفسه ولغيره ، فقد ناقضه د. ثروت عكاشة فى قصة إستقالته من مؤسسة المسرح .. ولكن وأيًا كانت أسباب الخلاف بين القمتين اللتين تشكلان . علامة مميزة فى حياتنا الثقافية ، تظل المذكرات والسيرة الذاتية من أمتع أشكال الكتابة وأكثرها تشويقًا ولعلها تكتسب بعداً أعمق عندما يخرج الكاتب من إطار همومه الخاصة إلى هموم وطن وقضايا عامة ، كما فعل أستاذنا الراعى .

❁

# ١٥ مذكرات مسافر!

أحـداث منـجـزات العلـم وأقـدم خـرافـة .. التـاريخ مـوازيا للاسطـورة وأفاق المسـتقبل .. الفقـر المدقع ملاصقا لأفخـم القصور .. أرقى الفنون وأفخم المسـارح ودور العرض ، وأحقـر الانشطة فى الحوارى والازقة .. أهم نظرية اقـتصـادية مع طريقة أعداد طبق لحم عـلى الطريقة الكورية ؟؟

هذا المزيج المتنافر لا يمكن ان نجده إلا فى كتاب فى أدب الرحلات .. فكتب الرحـلات هى الشكل الادبى الوحـيد الذى يـجمع بين شـتى ألوان المعـرفة الانسـانيـة بداية من الانثـروبولجى وعلم الاجتـمـاع وعلم النفس والتاريخ ، مرورا بالسياسة والإقتصـاد ، حتى العلوم الطبيعية ، وهى تقدم هذا كله من خـلال مزيج مشـوق من الشخصـيات والحكايات والأسـاطير والعادات والقاليد التى تعبـر عن خصائص كل شعب . بل ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن المعلومـات التى تمدنا بها كـتب الرحلات كثـيرا مـانفتـقدها فى الكتب السـياسيـة والحوليـات التى قد تلونهـا الدوافع المستـترة .. بل إن البعض يري أن كتب الرحلات ترقى إلى أن تكون من المصادر الأساسية فى

تفهم الأحداث الرئيسية والجانبية الغامضة ، إذ تنقلها من هامش الفكر إلى بؤرة النظر والإدراك وتبلور التحولات الإجتماعية والسياسة والفلسفية وتسهم فى عملية التفاعل الحضارى من خلال الإحتكاك والتعايش مع الثقافات الأخرى . . والغريب أن أدب الرحلات فى شرقنا لم يحظ بالعناية الكافية من حيث الدراسة والتحليل ، رغم تراثه الطويل الثرى سواء من خلال ماكتبه الاخرون عنا أو ما كتبه المصريون عنهم ، فكانت البداية منذ خمسة وعشرين قرنًا عندما خصص هيرودوت مجلده الثانى فى كتبه التسعة لمصر وقدم صورة متكاملة عنها وإن لونتها ثقافته الإغريقية والفكر الإغريقى الذى إعتمد عنصرى الرؤية والتساؤل . ثم كانت كتابات أفلاطون وكتب الرحالة ومشاهدات الحجاج والإرساليات وكتاب وصف مصر الذى وضعته البعثة العلمية المصاحبة لنابليون . على صعيد آخر قدم المصريون مشاهداتهم وحاولوا نقل خبراتهم التى إكتسبوها من خلال الترحال فقدم رفاعة الطهطاوى تخليص الابريز فى تلخيص باريس وقدم محمد ثابت مجموعته القيمة فى أوائل هذا القرن وتوالى الركب بقيادة حسين فوزى وكمال الملاخ وكامل زهيرى وأنيس منصور ومحمود عوض وجمال الغيطانى ويوسف القعيد وغيرهم .

واليوم يصحبنا الكاتب والإذاعى فايز فرح فى كتابه الثانى فى ادب الرحلات إلى سياحة جديدة على الورق ، نصحبة فيها إلى خمسة دول هى قبرص وايطاليا ورومانيا بلغاريا والمانيا . .

والمتتبع لأعمال الكاتب فايز فرح سواء من خلال كتابه الأول فى أدب الرحـلات - رحـلات وحـكايات - أو كـتـبـه الست الســابقـة يدرك أن الإنســان هــو الـشـغــل الشاغل لـلمؤلف . . . فـهـو لا يقـدم لنا جـولة مشاهدات فقط أو مجرد لقطات تسجيلية لما يراه ولكنه دائمًا وأبدًا فى حالة تأمل إنســانى لكل مــا تقع عليه عـيناه ، ويحــاول أن يغوص إلى جـوهر الإنسان وأعماقة ليسـتكشف أراءه وافكاره ومعتقداته وتجاربه . . ولعل هذه الرؤية هى التى مكنته فى كتابه الاول من أن يستشف قبل سنوات ما يحدث الأن فى يوغسلافيا ومشكلة إقليم كوسوفا الذى خضع آنذاك للصرب وظل مواطنوه الألبان يطالبون بالإنضــمام للوطن الأم . . نفس الملحوظة يمكن ان تتأكد بمتابعـتنا لما كتبه المؤلف فى كتابه الثـانى وهو يرقب إرهاصات الثورة فى رومانيــا وسخط الشعب الـباحث عن رغيف الخـبز والحرية ثم إنفـجار الثورة بعد شهور قليلة . .

وعلى درب من سبـقوه فى مجـال أدب الرحلات يقدم لنا فـايز فرح بإسلوب إذاعى تلغرافى المعلومة الإقتصادية والسياسية والتاريخية والأدبية . فيقدم لنا تاريخ قبرص من خلال فنـجان قهوة تركى ويسرد تاريخ العلاقات المصرية الرومانية فى القرن التاسع عـشر وإهداء شعب رومانيا لمصر الخشب الذى إستخدمتــه فى حفر وبناء القناة ويعرفنا بشاعر بلغاريا الثـائر خريستو بوتيف من خلال كلمة بوتيف التى لاحظ تكرارها فى بلغاريا . ثم يقدم لنا أهم آراء خـبـراء التـربيــة فى تربيـة الطفل وسنوات الـتكوين من خـلال

إستعـراضه لنظم التعليم وروشـته للصحة الأبدية من خـلال حواره مع أنا أصلان مكتشفـة عقار هـ٣ واخيرا يسلط الضوء على تجـربة ثورة ألبانيا فى عام ١٩٩٠ التى اندلعت من الجامعة . .

وخلال الرحلة الطويلة على الورق يـفتح لنا الكاتب نافذة على كثـير من الافكار الخلاقـة مثل تكليف الطلبة والعاملين مـثلا بقضاء شـهر سنويا للعمل فى الريف وقوانين الاحوال الشخصيـة ووضعية المرأة وقوانين حماية الطفل والتاكيد على أهمية دور الشعوب لتحقيق أى إنجاز أو تقدم . .

والحقيقة أن الـكاتب فايز فرح فى كتابه يأخذنا معه فى سـياحة تأملية ثمرتها الحقيقية هى إعلاء شأن الإنسان وقـيمته كضرورة إنسانية لإستمرارية الحياة التى يعشقها . .

❀



# المرأة وعوالم أخرى

عاشق للسفر والترحال .. السفر بين المدن .. بين البشر .. بين الحروف والكلمات .. مسافر دائم ، يحمل معه فى الغدو والرواح مصر بحواريها وأزقتها وأناسها وتراثها وهمومها ، لتصبح مصر دائما نقطة البدء ونهاية المطاف ..

وأغلب الظن أن القارئ الذى عرف الأستاذ كامل زهيرى كاتبًا سياسيًا ومهموما بقضايا مصر والعالم ومهنة الصحافة ، وعرفه من خلال كتاباته الصحفية رحالا فى عالم الفن والفكر . ستأخذه الدهشة عندما يقع بصره على عنوان الكتاب الذى يشى أن المرأة هى بطلة العمل والمحور ، إلا أن الكتاب فى حقيقته أشبه بسياحة فكرية ، فهو مزيج من التأملات الذاتية والقراءة الفنية المتأملة للأحداث وللبشر سواء أكانوا على مسرح الحياة أو بين أغلفة الكتب أو أطر الصور أو مجرد قصاصات من ورق .. إن كامل زهيرى عبر كلماته يتسلل بهدوء ونعومة إلى عقل ووجدان قارئه أيًا ما كان

ليصاحبه ، ليقرأ معا الوجوه و يبصرا الموسيقى ويسمعا حفيف وهمس الألوان . .

ورغم أن المرأة هى التيمة الأساسية التى تربط معظم فصول الكتاب ببعضها ، إلا أن امرأة كامل زهيرى امرأة مختلفة . . إنها فى حقيقتها عاصفة من الأفكار ومجموعة من القضايا الحضارية . . هى المعبر لعوالم أخرى أوسع وأرحب أبطالها كتاب ومفكرون ورسامون وصناع حضارة ومذاهب فكرية ورؤى فنية . . هى الخط الفاصل بين الموت والحياة ونقطة إمتزاج الظلال بيقع النور . . هى المدخل للتفرقة بين مفهوم الجسد الذكى والجسد الغبى الأمى ، وتجربة الإحتفاء بالحياة وتواصلها وتواصل الحضارة فى أرض الله الواسعة بغض النظر عن الحدود المفروضة . .

إن امرأة كامل زهيرى ينبع جمالها من ذكائها ، وعبقريتها من بساطتها وعمق إنفعالاتها . . إنها حواء مصر القديمة الملكة سواء فى قصرها أو كوخها البسيط . . هى سيدة الصين البسيطة الرائعة التى حملت طفلها وسارت أميالا على قدميها لتنقذه من شبح الموت والدمار . . هى ذلك المثلث الذهبى الرائع لرسامات الستينات - تحية حليم وإنجى أفلاطون وجاذبية سرى - اللاتى كشفن بألوانهن عن عالم المرأة بكل جماله وحميميته. . المرأة هى كليوباترا التى تغيرت وتبدلت شخصيتها على مر العصور طبقا لرؤية الكتاب والشعراء . . المرأة هى عالم بأكمله يتلون

ويتغير ويعكس طبيعة مجتمع بأسره فى صفحات توفيق الحكيم ويحيى حقى ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس .. هى شهرزاد الأدب والموسيقى .. هى مى زيادة هدى شعراوى وجميلة بوحريد وقدرى طوقان و .. و ...

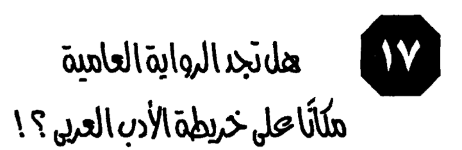
وينتقل الكاتب ليكشف أبعاد المكان والزمان وأسرار الأحداث وجماليات قراءة ورؤية الأدب والموسيقى والإنصات للظلال والنور عندما يسافر بين متاحف فرنسا وقصورها وحوارى وأزقة القاهرة مخترقا حاجز الزمان ليرسم بورتريه لشوقى والعقاد وصلاح عبد الصبور وصلاح جاهين وروز اليوسف وليقرأ نساء روايات يحتى حقى ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ليقدم عالمًا مختلفًا لم يألفه الكاتب ولا القارئ العربى من قبل ..

وخطوة بخطوة يستدرج المؤلف قارئه ليشاركه فى خضم واحدة من أخطر القضايا الثقافية ألا وهى مشكلة الأمية البصرية وحقيقة تكامل عناصر الثقافة وأهمية التواصل بين الصورة الذهنية فى الأدب المكتوب والصورة المرسومة .. فيفاجئ قارئه بقوله «إننى اكتشفت أن أغلب أدبائنا لهم عيون تشبه عيون القطط لأن القطة لاترى سوى الأبيض والأسود والرمادى ، عيون القطة لاتدرك الألوان ولاتحس بالضرورة ببهجتها وألوانها ، وبعض كبار أدبائنا لأنهم أهملوا الاهتمام بلوحات الرسامين وإبتعدوا عن الفنون

التشكيلية يدفعون الثمن لأنهم يضعفون عند تصوير المكان ويهجرون التفاصيل المرئية» . .

وأغلب الظن أن القارئ الذى ضلله العنوان للوهلة الأولى لم يندم ولم يفتقد الوجبة التى كان يبحث عنها بعد أن إكتشف الوجه الآخر للكاتب كامل زهيرى ، الذى استطاع بكل سلاسة وبساطة أن يفتح لقارئه نافذة رحبة يطل من خلالها على عالم الفن والعلم والبشر . .

❁



# ١٧ هل تجد الرواية العامية مكاناً على خريطة الأدب العربى ؟!

فى رواتيه الخامسة عشرة - لبن العصور - ومنذ الصفحة الاولى تصطدم عينا القارئ بمرصوصة عامية لا تنتهى ، تلقى على العقل غلالة للحظات ، فلا يستطيع القارئ للحظة أن يستوعب معانى الكلمات !! لكنه لايلبث ان يتذكر نص الكلمات التى طالعها على الغلاف .. رواية بالعامية .. فيحاول من جديد إعادة قراءة سطور تجربة ليست بالقطع الأولى من نوعها سواء على مستوى الادب العالمى أو الادب العربى ، وإن كانت لا تزال تحمل بداخلها كل سمات التجربة بكل غرابتها وطرافتها وردود الفعل المتباينة تجاهها ، وتطرح أسئلة لا أول لها بداية من إمكانية إستقرار هذا الشكل ومستقبله ، وإنتهاء بمقارنة وضع الرواية العامية بالشعر العامى ..

والحقيقة أن الأديب يوسف بالقعيد قد إعتاد فى كل أعماله وفى

مراحل تطوره الفنى المختلفة أن يصـدم قارئه ، ناهيك عن نقاده ، بصورة وفكـرة وصـوت المؤلـف الذى يلون العـمـل بلغـتـه وصـوره وحـتى أحكامه السـياسـية وطرحه لأشكـال جديدة فى الرواية من خلال الـتقطيع السردى وحـفر ملامح الـشخصـية الإنسانيـة الداخلية والإرتبـاط بالزمان والمكان . وهذه السمة الاخيرة بالذات شاركه فيها الكثير من أبناء جيله من الكتاب .

ولعل كلمة السر فى أعمال يوسف القعيد التحدى وروح المغامرة التى تدفعه لمحـاولة الخروج عن المألوف والكتابة المخـتلفة التى بلغت فى بعض أعماله خاصة فى فترة الستينات والسـبعينات درجة من الواقعية الصارمة ، تكاد تصل لدرجة التوثيق ، حـيث شكلت خبراته اليوميـة سواء فى القرية المصرية أو على جـبهة القـتال مصـدرا للإلهام . فرصـد فى أعماله حـياة الفلاحـين البسطاء وعـبر عن همومـه السيـاسيـة فى فتـرة الإنتقـال مابين عصرين . .

ولعل جـذوة المغامرة التى لـم تخمد فى نـفس القعيـد وروح الفنان القلقـة التى لا تهدأ وتبـحـث دائما عن الجـديد ولو بمغامـرة أو تجربة غـير مؤكدة النتائج بالإضافة لطبيعـة الموضوع وطبيعة الرواى الخاصة جدا ، هى التى دفعـته لإستخدام العـامية ، لتنطلق بطلتـه ترتر - المرأة المطحونة التى تعيش على هامش المدينة فى أحد الأحياء العشوائية - معبرة ببساطة تلقائية من الفقـر والحاجة ومحـاولتها العبـور من عالم المهمـشين الخانق إلى بذخ

وأضواء المدينة التى لا تبعد عن حيها إلا بضع خطوات وإن كانت نقطة العبور فى حقيقتها تساوى ألف ميل .

وقد يبدو للوهلة الأولى أن يوسف القعيد قد تخلى عن عالمه الخشن المعروف الذى إرتبط بكل كتاباته السابقة لينساق وراء مشاعر إمرأة مسحوقة وتمثل عالمها الداخلى . وفى هذا الإطار المحدود يمكننا أن نقول أن القعيد قد إستطاع بالفعل تمثل هذا العالم وطعمه بكثير من الحكايات الموروثات الشعبية كما إستطاع من قبله صنع الله ابراهيم فى رائعته «ذات» أن يعبر عن هذا العالم كما لم تعبر عنه سيدة من قبل .. لكن رواية لبن العصفور ليست مجرد حدوته عن بنت فقيرة جميلة ، فكلمات ترتر الراوية تحفر ملامح عالم قاتم حقيقى يحيط بنا ولكننا نتغافل عنه وعن أسباب وجوده بل وغزوه التدريجى للمدينة ليهيل التراب على كل شئ .

وهنا تعود قضية اللغة لتفرض نفسها .. والحقيقة أن تجربة القعيد فى إستخدام اللغة العامية لإضفاء مزيداً من المصداقية على العمل ليست الأولى من نوعها فى مجال الادب ، فقد إستخدم شكسبير مثلا عدة مستويات لغوية فى بعض مسرحيات ليفرق بين العامة والنبلاء ونفس الشئ فعله كثير من كتاب أوربا وأمريكا اللاتينية والزنوج ، وعلى المستوى العربى فقد حاول من قبل توفيق الحكيم ان يخلق لغة ثالثة مابين الفصحى والعامية ، كما لجأ لويس عوض وعثمان صبرى ويوسف السباعى للعامية فى بعض

اعمالهــم . هذا بالطبع بالإضافة لرائعة بيــرم التونسى «السيد وحــرمة فى باريس» ومن بعده أنصار شعر العامية . .

بالرغم من كل هذا وبصرف النظر عن أىْ ردود فعل مسبقة فقد ظلت الكلمات العـامية فى العمل ســواء التى نرددها فى حْياتنا اليومـية أو تلك المستـقاة من قـاموس الحيـاة فى تلك الاحيـاء جزاء نافـرا يتحـدى العقل واللسان فى كثير من الأحيان ويخرج القارئ من لحظة الإندماج ليجاهد فى نطق كلمات تختلف طرق نطقها او هجائها طبقا للهجات . .

وتنتهى صـفحات العـمل وإعترافات ترتر بكـل ما تثيره من أشـجان وقضايا مـازالت مفتوحـة على المستوى العام والخاص ويـبقى السؤال الذى يطرحه عـمل القعـيد ككل . . ترى هل يمكن ان تجد لغـة القص العامـية لنفســها مكانا على خريطة الادب العــربى ويصبح لها أنصـار وشيعة كـما حدث لشعر العامية ؟؛

❁

# ١٨ بعد نصف قرن من الدراما الإذاعية يوسف عز الدين عيسى يختار الكتاب

عندما خـرج السيد أحمـد عبد الجـواد من بين صفحات ثلاثيـة نجيب محفوظ الخـالدة ليجسد شخصيـته على الشاشة الصغيـرة والكبيرة والمسرح والإذاعة عمالقة التمثيل ، إكتـسب سى السيد شعبية وشهرة لم يكن يحلم بها وأصـبحت الست أمينة ويـاسين وكمال عـبد الجواد وزوبه العـالمة بمثابة كرت تعارف نجيب محفوظ مع فئات كثيرة ومختلفة فى المجتمع ، كان من المستحـيل أن تلتقى بشخصيـاته أو تتعرف عليها بحكم الأمـية أو لمجرد عادة القراءة لا تشغل حيزا فى حيـاتهم . . ومع توالى خروج الشخصيات من بين أغلفة الكتب عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وتعرف الجماهير على أمنه دعاءالكروان ونفـيسة بداية ونهاية وبوسطجى يحـيى حقى ومادى نظاره احسـان عبد القـدوس السوداء وسناء العيب ليـوسف ادريس وعائلة دوغرى نعـمان عـاشور وزينى بركـات جمال الغـيطانى . . و . . و . . . أصبح حلم كل كاتب ومـقياس نجاحه هو تجـسيد سطور مؤلفـاته عبر الفن

السابع أو الإذاعة والتليفزيون ليضمن حياة جديدة وشعبية أكبر لشخصياته بين كل قطاعات الجمهور . . وكنتيجة مباشرة طفت على السطح عدة قضايا كان أهمها الخلاف بين المؤلف والمخرج حول كيفية إظهار العمل وتقديم الفكر وكيفية تحويل العمل الأدبى لسيناريو لا يخل بمضمونه ، وسيطرت المخاوف حول مستقبل الكتاب والمؤلف الأدبى حتى أن البعض تمادوا فى مخاوفهم وتصوراتها المرعبة التى انحصرت غالبا فى سقوط الكتاب عن عرشه وإحتمالات إندثاره تمامًا ليظل كمًا مهملاً فى إحدى زوايا متحف التاريخ فى ظل التطور الهائل لوسائل الإعلام وتكنولوجيا الكومبيوتر وإشباعها لإحتياجات إنسان العصر الحديث . .

لكن يبدو أنه قد حان الوقت لتذوب هذه المخاوف ليعود للكتاب قيمته ويحتل عرشه المفقود من خلال كاتب من نسيج خاص جدا إرتبط إسمه بالدراما الإذاعية المرئية أساسًا وكانت أعماله المطبوعة أقل بكثير من أعماله المذاعة عبر الأثير . . ففى نفس الوقت الذى يسعى فيه معظم الكتاب لتحويل أعمالهم الأدبية لأفلام وتمثيليات ، يتجه د. يوسف عز الدين عيسى الذى عرفه العامة والخاصة من خلال أعماله المتميزة إذاعيا وتليفزيونيًا . كالعسل المر ولا تلوموا الخريف وصوت من الماضى وعدو البشر وعواصف واليوم المفقود - لإعادة صياغة أعماله الدرامية التى قدمتها أجهزة الإعلام وطبعها فى مجلدات كان منها المجلد الثالث الذى ظهر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ليضع بين يدى القارئ واحدة من أهم وأكثر

اعـمـال الكاتب شـهـرة وتشـويقـا وإثارة ، إلا وهى رواية العـسل المر ، بالإضافة إلى عملين آخرين هما التمثال وعين الصقر . .

وهذه المفارقـة ليست غريبـة على د. يوسف عز الدين عيـسى العالم والكاتب الموسعى الذى عاش حياته العملية بين المدرجات والمعامل ، أستاذا وباحثا فى علم الحشرات بجـامعة الاسكندرية ومع ذلك نال جائزتى الدولة التشجيعية والتقديرية فى الآدب وبـإجماع أساتذة الآدب على أحقيته بها ، والذى استـشف فى أوائل الأربعينات ومع طفـرات التكنولوجيـا المتلاحـقة وتطور وسائل الاعلام ، تأثيرها على الجمهور فـاستخدم فى كتاباته تكنيكا جديدا يستوعب الفن الإذاعى ويستفيـد من أساليبه ، ليصبح خلال سنوات قليلة رائدا للدراما الإذاعية وواحدا ممن وضـعوا أسسها فى الشرق الأوسط وليحولها إلى أدب وفكر من أرقى مستوى . .

من هنا فإن تجربة د. يوسف عز الدين عيسى لتـحويل أعماله الدرامية المذاعة عبر الأثيـر لأعمال مطبوعة ، تثيـر أكثر من تساؤل . . هل هى رد فعل تلقائى لضـياع بعض الأعمال المسـجلة فى الإذاعة أم لمجرد الإيمان أن الكلمة المطبوعة ستظل دائما هى الأبقى ؟؟

أغلب الظن أن الدافع الحـقـيـقى هو الرغـبة في توثـيق فكر الكاتب وفلسفته ورؤيته للحياة بصورة أكثـر ثباتا وعمقا وديمومة بعيداً عن الأحداث الدراميـة المذاعة التى غالبا مـاتشغل المستـمع أو المشاهد عنها . . فالقـصة القصيرة والرواية فى عالم يوسف عز الدين عيسى ذات مستويات متعددة ،

كما أنها ليست مجرد حدث درامى بل وسيلة لتجسيد الفكرة وتوصيل الرسالة الاجتماعية والنفسية والفكرية والتنوير دون إلقاء مواعظ مباشرة . وذلك أن شخصياته التى يتعامل معها من خلال المنظور النفسى تعبر عن كثير من أزمات وقضايا الإنسان عامة المجتمع المعاصر خاصة . .

وعلى سبيل المثال فإن مطالعة رواية العسل المر التى ظهرت من قبل الإذاعة والتليفزيون تكشف عن أكثر من مستوى للعمل وتخرج به عن نطاق حدوته الأميرة النائمة أو أم الضفائر التي تفصلها عن الأمير الجميل الأهوال وجدران القصر العالى الذى أقامه الساحر الشرير ، الذى تحول فى العسل المر إلى الأم التى تريد أن تحصن إبنتها ضد شرور الدنيا التى إختزالتها فى صورة الرجل . فإذا كان العمل الدرامى المذاع قد جعل من الإبنة سوسن البطلة ، فإن الرواية المطبوعة بتركيباتها اللغوية ذات الدلالة العامة والمجازية وتكامل مفرداتها وتوظيف الشعر والحوار والمنولوج الداخلى والوصف والحلم والرمز جعلت من الأم البطلة الحقيقية للعمل والمحركة الأساسية للأحداث . فالساحر الشرير فى الأساطير تحول فى العسل المر إلى أم لم تستطع التخلص من عقدة طفولتها أو أن تسمو فوق مشاعر الغضب وإحباطات الحياة وشرور العالم التى أختزلتها فى صورة الرجال فحاولت أن تخلق لنفسها ولإبنتها عالما مثاليا تحوطه الأسرار متصورة بذلك أنها قادرة على أن تغير مسار الطبيعة البشرية وتكبح جماحها ومع ذلك لم تنج هى شخصيا من الحب ولم تستطع أن تخنق نداء

الطبيعة فى نفس الإبنة. على مستوى آخر يتحول الحب إلى نوع من الرغبة فى التملك والقسوة على الإبنة ليتهاوى كل شئ ولتتوقف نبضات قلب الام عندما تكتشف أنها لم تستطع أن تمنح الإبنة السعادة المصفاة وأن عطاءها مجرد عسل مر . .

ومن بين سطور التمثال تطل علينا تيمات الولع بالمجهول وحقيقة السعادة وجدوى الحياة وعدم إدراك الإنسان لقيمه ما يمكنه وتطلعه لما بحوزة الآخرين ومشاعر الغيرة التى تدمر حياة الإنسان وتحوله لمجرد حطام . .

ثم يقدم الكاتب فى روايته القصيرة عين الصقر تركيبة ثرية يمتزج فيها الخيال بالواقع ليجسد الصدام ما بين القيم النبيلة التي نغرسها فى نفوس الصغار ثم لحظة المواجهة مع عالم تحكمه قوى العدوان والمصالح وقانون أخلاقيات السياسة . وعندما تأتى لحظة الاختيار يسقط دائمًا أول من يتمسكون بالقيم . . هكذا تعبر شخصيات يوسف عز الدين عيسى عن واحدة من أهم أزمات الضمير الإنسانى وهكذا يستمر عطاء العالم والفنان فتكمل سطور الكتاب رسالته على الأثير . . وليقدم لنا العالم صورة أكثر وضوحا للإنسان وأكثر عمقا للأدب .

❁

# سياسة خارجية

## ١٩ أمريكا والبحث عن الذات

أصبحت قضية الهوية والصراع بين الثقافات والتحسب من طغيان ثقافة على أخرى وتلاشى حضارة لصالح حضارة مغايرة ، والتناقض فى موقف السياسة الأمريكية وتقاليدها ، والصراع ما بين الرؤىء الواقعية والمثالية وما بين مصالحها القومية ودورها العالمى ، قضية الساعة ليس فقط بين ما يسمى بدول العالم الثالث ومنطقتنا العربية فقط ، بل أيضًا فى أوربا والقارة الأمريكية نفسها . . وإذا كان هناك ما يبرر مخاوفنا فى هذه اللحظة التاريخية التى نعيشها الآن ، فالمثير أن نيران هذه المخاوف والبلبلة التى أشعلها الآخر إمتدت لتطوله هو شخصيًا ، ليصبح الخوف من حضارات الشرق ومحاولة البحث عن الذات والحفاظ على الهوية قضية تشغل العالم الغربى والولايات المتحدة تحديدًا . . فمنذ أن قامت الثورة الإيرانية فى عام ٧٩ وبظهور كتاب صامويل همتنجون - صراع الحضارات - أصبحت الفكرة المسيطرة على العقول الغربية التوجس من الحضارات والثقافات

الأخرى وقد إستتبع هذا بالطبع ظهور تيارات فكرية شجعت محاولات الإنكفاء على الذات الغربية والبحث عن الجذور فى أوربا وأزكت نيران الخوف من الآخر وفكرة تحدى وصراع الحضارات ، رغم كل ما يقال ويتردد من شعارات عن الإنفتاح على الآخر وتواصل الحضارات .

والحقيقة أن الخوف من إنهيار حضارة الغرب وتهميش ثقافته والبحث عن الجذور ليست بالأفكار الجديدة .. ففى عام ١٩١٨ كتب أوزالد سبنجلو إن دورة حياة الثقافة والحضارة تشبه دورة حياة الإنسان من حيث الميلاد والنمو والعنفوان والإستقرار ثم الشيخوخة ، وأن الحضارة الغربية قد وصلت لطريق النهاية وتتهاوى . كذلك فقد ظهرت فى نفس الفترة عدة مقالات سارت على منوال مقال هنرى لويس الشهير الذى أطلق فيه على القرن العشرين إسم القرن الأمريكى ، لتصبح أمريكا الرمز والقدوة والحلم ومركز الثقل للعالم الغربى .

لكن سرعان ما تغير كل شىء بظهور كتابى همنتجتون الشهيرين لتظهر قضايا جديدة وجدل حول تقاليد السياسة الخارجية الأمريكية والنظام العالمى بعد الحرب الباردة ولتعدد التصورات للنظام العالمى وطبيعة الصراع داخله وأساليب السياسة الخارجية الأمريكية ولتجسد أمام المواطن العادى فى أمريكا أو خارجها صورة متناقضة غير مفهومة للسلوك الأمريكى الذى

يبدو أحيانًا مثاليًا مترفعًا معليًا القيم الإنسانية وأحيانًا أخرى نفعيًا ، لا إنساني .

وفي هذا الإطار وفي محاولة لفهم آليات الفكر والسياسة الأمريكية وأسباب تناقض السياسة الخارجية الأمريكية نقل الكاتب الصحفي الأستاذ رضا هلال للغة العربية كتاب والتر . م. ماكدوجان أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية بجامعة بنسلفانيا - ، الذي صدر تحت عنوان أرض الميعاد والدولة الصليبية - أمريكا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦ .

الكتاب في مجموعة يستعرض ظروف النشأة الأولى في العالم الجديد والصراع من أجل الإستقلال والعلاقة بالوطن الأم في أوربا والتحديات التي حددت طبيعة السياسة الخارجية الأمريكية في تلك الفترة ، والتي كان هدفها في المرحلة الأولى حماية الحرية في الداخل أو في أرض الميعاد (كما يطلق عليها المؤلف) من خلال تأكيد القوة الداخلية قبل الإرتباطات الخارجية والتوسعية . .

يقول المؤلف في معرض تقديمه لسلسلة المحاضرات التي أعدها عن التاريخ الدبلوماسي للولايات المتحدة لتدريسها لطلبة جامعة بنسلفانيا والتي كانت البذرة لمحاولة ماكدوجال تفسير ودراسة تطور الدبلوماسية الأمريكية: «إن لأمريكا أكثر من صورة فهي طيبة وسيئة ،

مثاليـة ونفعية ، مـارست التطهير العرقى والإبادة الجـماعية لتسـتولى على الأراضى وتسـببت فـى كوارث حربية وإقتصادية ومارست شئون سياستها من منطلق حسـابات المصلحـة الذاتيـة الواعيـة ، ومع ذلك فكثيـر من الأمريكيـين مقتنعـون أنهم الاتقيـاء الصالحون ويـضيقـون بالهمـز واللمز بسياساتهم الغير مفهومة . . » .

ويسـتطرد المؤلف موضـحًـا أوجه التناقض فى الـسيـاسة الخـارجيـة الأمريكية مؤكـدًا أن الحيرة تتملك الأمريكى نفسـه عند محاولة وضع تلك المبادىء والسلوكيـات فى إطار محدد متسق ، وأن هذا التشـويش يشعر به الأجانب أيـضًا (المعاصـرون من الأمريكيـون) وأنه من الصعب تجـاهله أو السخرية منه لأن الولايات المتحدة أقوى من أن تُتجاهل . .

ويمضى الكاتب مـوضحًا مـنهجه فى مـحاولة إستيـعاب تناقـضات وثنائيات التاريخ الأمريكى مؤكدًا أن على الأمريكيين أن يعرفوا أنفسهم من خلال فحصهم لتاريخـهم بدرجة من الموضوعية وأن يدرسوا ويحللوا تطور المبـادىء والإتجاهات من خـلال ٢٢٠ عامًـا ، والتى تنوعت مـا بين أفكار المصلحـة الذاتيـة المادية والمطالبة بـالحرية القـوميـة رغم الريبـة فى ثورات الآخرين وغيـرها من الأفكار المتناقضة التى يحـددها بول فارج فى إطارين متنـافسين أحدهمـا اقتـصادى والثـانى أيديولوچى ، ويمثلها فـان بيليكس جيلبرت بترددات عالية بين الواقعيـة ومثالية ، وأرثر شليخزنجر بدورات بين الواقعـية والمسيـحانية أو بين التـجربة والقـدر المحتوم ، وليـرصدها هنرى

كيسنجر فى ثنائيات دائمة الإنعزالية والعـولمة المثالية وسياسة القوة لتصنع ما يسمى باليـوتوبيا البـراجماتيـة . ويوضح الكاتب تفصـيلاً أسس السيـاسة الخارجية فى القرن التاسع عشر وفكرة أرض الميـعاد كإستعارة دينية ليوضح العامل الدينى فى السياسة الأمريكية فى المرحلة الأولى حيث إعتبر مؤسسوا أمريـكا أنها أورشليم أو إسـرائيل الجديدة الجـديدة ، ثم يسرد الـتفاصـيل والمتغيرات التى أدت لتغيير هذه السياسات فى القرن العشرين لتبدأ ما يطلق عليه الكاتب الدولة الصليبية والعهد الجديد ، من منطلق أن لأمريكا رسالة توسعية لنشر الحرية فى العالم !! .

وعـبر صفـحات الكتاب تتضح للقارىء أبعـاد الصراع بين الرؤيتين

وعـبـر صـفـحات الكتـاب تـتـضح للقـارىء أبعـاد الصـراع بين الرؤيتين
والتحديات ومصادر الإلهام والمفـاهيم الفلسفية والدينية التى حكمت تاريخ الولايات المتحدة ليصبح فيلم الطيب والسىء والقبيح على حد قول الكاتب صورة مجازية لأمريكا تـتجسد فيها قيم الإنسان بنقصـه وتفرده ورغبته فى تحقـيق العدالة وحـيازة المال فى بلد هو الأقـوى والأكثـر فساداً عـلى وجه الأرض . .

ان كـتـاب أرض الميعاد والدولـة الصليبيـة وإن كان يسـرد فكر وتأمل أستاذ متخصص فى علم التاريخ والعـلاقات الدولية فى محاولة منه لتقديم قـراءة جديدة للتـاريخ لقارئه وطالبه فى أمـريكا ، إلا أن ترجمة الأسـتاذ رضـا هــلال له والـتـى سبقـها صـدور عدة كـتب من تأليف وترجـمة

الكتاب تناول فيـها رؤيته لأمريكا والحلم والسياســة الأمريكية ، تشكل فى مجموعهــا محاولة جادة لقراءة وفهم أبعاد السيـاسة الأمريكية وإدراك وحل تناقضاتها فى ذهن القــارىء العربى ليستوعب أبعاد التــجربة وليتخلص من الفكر الخــرافى المســيطر عليه عند إصــطدامه بمواقف السـيـاسة الخــارجيــة الأمريكية فى المنطقة العربية ، ليتبنى فكراً أكــثر واقعية ووضوحًا بعيداً عن التصورات المسبقة والأوهام .

❁



# البوسنة

## بعيون مصرية

بالرغم من كم الصفحات والأوراق التى سودت باخبار مأساة البوسنة والهرسك والملفات التى امتلأت بالقصاصات والقرارات التى تندد وتدين التعنت الواضح والاعتداءات المتكررة على المسلمين سواء بإستخدام الأسلحة المحرمة أو بالممارسات الهمجية التى ترتكب فى حقهم يوميا ، وعمليات الإبادة التى يتعرضون لها وتحولهم لهنود حمر آخرين فى القرن العشرين . . برغم خطورة القضية ونزيف الدم المستمر تحولت الصورة فى البوسنة وحتى مع تكرار النشر إلى لوحة غير واضحة المعالم يلفها غموض غريب يحجب الرؤية عن جزئياتها . .

ورغم أن الكثيرين قد تنفسوا الصعداء بعد توقيع إتفاق واشنطن الذى ينص على قيام إتحاد كونفيدرالى بين مسلمى البوسنة والكروات لإيقاف نزيف الدم إلا أن كثير من المراقبين رأوا أن هذه الإتفاقية لن تحل المشكلة

تماماً حيث أن الإتحاد الفيدرالى بين المسلمين والكروات لن يخلو من توتر مستمر بسبب الحدود الخاصة بالسلطات المحلية والفيدرالية ، بالاضافة إلى مشكلة الملايين من اللاجئين وإصرار الصرب على حماية الصربيين الذى يعيشون فى كرواتيا . .

مثل هذه المشاكل التى لم يحلها إتفاق واشنطن والتنازلات التى قدمها المسلمون لإيقاف نزيف الدم ، تجعل من العسير أن نتصور أن ملف البوسنة فى طريقة لأن يغلق أو أن فصول المسرحية قد اكتملت بصورة نهائية . . والاقرب للواقعية ان هذه الأحداث تدعونا لأن نعيد فتح ملف البوسنة لنقرأة قراءة جديدة من منظور مختلف ، هو المنظور العربى . . وهكذا تتكشف لنا اهمية كتاب الاستاذ يحنى غانم المراسل الحربى للاهرام والذى صدر بعنوان «كنت هناك» والذى قدم من خلاله كثيراً من الأحداث والوقائع التى عايشها خلال رحلاته الثلاث منذ إشتعال الازمة .

وتعتبر صفحات الكتاب شبه ملف كامل يكشف الكثير من الجوانب الخفية ، فيلقى الضوء على بعض الجوانب التى أهملها الاعلام الغربى أو غلفها بالغموض برغم كل دعاوى حرية الاتصال ونقل المعلومات . .

ويرسم الكاتب بقلمه تجربته ومعايشته الحية للأحداث ويستكمل الصورة بإجراء العديد من الحوارات مع الأطراف المعنية بداية من الرئيس عزت بيجوفيتش والمقاتلين المسلمين والكروات والبسطاء من أهل البوسنة ، مرورا بالمرتزقة الذين استأجرهم الصرب لقتل المسلمين ومسلمات الهرسك

اللاتى تعرضن لـلإغتصـاب وإنتهاء بالحـوار مع أحد الخنازير البـشربة ممن قاموا بالعملية القذرة . .

ويفضح الكـاتب على صفحـات كتـابه ومن خلال معـايشتـه لقوات الحمـاية الدولية فى البـوسنة الدور المخزى الذى لعبـوه وأدى إلى تصعـيد معاناة الشعب البـوسنة ، سواء من خلال تحريف تقارير القتـال اليومية أو مقايضة الطعام بالممتلكات الشخصـية ، ثم تورط الجنرال ماكينزى شخصيا قائد القوات الدولية في عمليات الإغتصـاب التى فضحها الصحفى المصرى لأول مـرة على صفـحات الجـرائد بعـد أن غض الإعلام الغـربى الطرف عنها . . كما يرصد الكاتب بالاسم وبالموقع وبالتاريخ الـستمائة مسجد التى دمرها الصربيون .

ولعل من أهم فـصول الكتاب ذلك الفـصل الذى أورده المؤلف على عجل وتناول فيه قضـية التضليل الاعلامى Disinformation المقصود ، من خلال دس معلومـات مغلوطة أو تجاهل أخرى لتحـقيق هدف معين ، والتفـرقة بين هذا المفهـوم ومصطلح Misinformation والذى يدل على بث معلومة مغلوطة بدون قصـد بسبب الجهل أو سوء الادارة أو كلاهما . وفى هذا الفصل يقدم المؤلف بعضا من فصـول المؤامرة التى حاكها الإعلام الغربى لـيشكل موقف ووجـدان الرأى العام ، مـثل التجـاهل التام لخـبر إستخدام الاسلحة الكيماوية ضد مدينة سريبر بينتشا ، وتفاصيل ، التعتيم

الكامل على جرائم الفرنسيين وقوات الحماية الدولية وترويج الدعاية الصربية بأن أغلبية مسلمى البوسنة أحفاد الأتراك العثمانيين . .

ولعل من أهم النقاط التى يوضحها ملف يحيى غانم ان مأساة البوسنة لم يصنعها كل الكروات ولا الصربيين بل حنفه قليلة من مجرمى الحروب ودعاة الحروب الصليبية والتزمت الدينى ، حيث إلتقى الكاتب بعد ذلك بعدد من الجنود الصربيين والكروات الذين يحاربون فى صفوف الجيش البوسنى . . وهى نفس الحقيقة التى اكدتها إحدى الصحف البوسنية التى علقت على عملية مدينة فوكوفار بأن الصرب ضربوها لانها كانت نموذجا للحياة المشتركة بين كل الأديان وأن ١٥٪ من جنود جيش البوسنة من الصرب الكروات وأن الحكومة البوسنية تتكون من مسلمين وصرب وكروات . .

وهكذا يأتى كتاب يحيى غانم ليوضح الصورة ويكشف كثيرا من الظلال التى تحوطها لتصبح الرؤية أوضح ، كى لا ننساق وراء تصورات وأمان حول دعم لن يأتى او حل يقدمه لنا الآخرون على صوان من فضة . . يأتى كتاب «كنت هناك» ليكون بمثابة صرخة تهز ضمائرنا حتى لا ننسى البوسنة وكل بوسنة ولنكتب نحن آخر الفصول بدلا من أن يكتبها لنا آخرين بعد تلوينها بأرائهم وأفكارهم المسبقة ومصالحهم . . .

❁

# في الإقتصاد

## ٢١ سياحة فى أرض السحر والأساطير

عاشوا فى خيالنا ولكننا لم نعرفهم . .

عــرفناهم من خــلال الأسطورة والحكــاية والرمــز وحكايات الرحــالة فــإرتبطت الصين وأهلهــا فى خيــال بعــضنا بالسحــر والغــموض والبــذخ وتجسدت فى أذهان البعض كرمز لحضارة لم تفقد ذاكرتها ولا هويتها وثقافة تخــاطب الروح وتبعث السكينــة فى النفس . وتمثلت أمام عــيون البــعض كمارد قوى يقف متحديًا كل مسالــب المجتمع الرأسمالى وجبروت الحضارة الغربية . . . ورغم أن كل صــورة من صور الصور السابقة تظهــر جانبًا من الحقيــقة إلا أن الصورة الكاملة للصين وأهلها ظلت دائمًا منقــوصة لا تقدم سوى شــذرات متفرقــة لا تعكس ما يحــدث تحت السطح أو تكون صورة متكاملة الأبعاد ، يتناغم فيها الضوء مع الظل .

وإذا كــان الأستــاذ إبراهيم نافع بحــس الصــحــفى والمحلل والناقــد الإقتصادى والســياسى قد أخذ على كاهله من قبل أن يقــود فريق عمل من شباب الأهرام ليكشف لنا من خلال كتابه ماذا يجرى فى آسيا حقيقة النمور

الآسيوية الخمسة والأزمة الاقتصادية التى كادت أن تؤدى بالبنيان الإقتصادى الآسيوى ، فها هو اليوم يعود مرة أخرى ليبحر بنفسه فى ربوع الصين ليقدم بإسلوب صحفى جذاب دراسة متكاملة مدعمة بالحقائق والأرقام عن الصين وموقعها على خريطة المجتمع الدولى .

فعبر صفحات كتابه **الصين معجزة القرن** بحث الكاتب عن إجابات لعدد من القضايا والأسئلة المحيرة ذات الأهمية لمنطقتنا العربية من قبيل علاقة الصين بإسرائيل وبمصر ووضعية الصين فى القرن الحالى ومدى قدرتها على منافسة الرأسمالية وإستيعاب وتجاوز سلبيات المجتمع الرأسمالى ومعوقات التنمية التى تهدد نموذج الاقتصاد الصينى اليوم رغم أنه إحتل المكانة الثانية بعد أمريكا ، وقضية الأقليات والمسلمين فى الصين.

ورغم أهمية القضايا والمواضيع الاقتصادية والسياسية التى يفجرها الحديث عن الصين والكفيلة بأن تستثير شهية ناقد ومحلل له مكانة وثقل الكاتب ، إلا أن المؤلف بحس الصحفى الذى يستشعر مشارب قارئه والإنسان الذى تدفعه العلاقات الإنسانية والعلاقات الاجتماعية للتأمل ، لا يترك العنان لهوى المحلل السياسى والاقتصادى ليسترسل من تحليلاته الاقتصادية والسياسية إلى ما نهاية . فيقدم عبر صفحات الكتاب بانوراما إنسانية وثقافية كاملة توضح المزيد من تفاصيل الصورة . فتحت عدد من العناوين المثيرة يقدم وجبة شهية متنوعة بداية من وضعية المرأة فى الصين وتزايد معدل الانتحار بين الصنيين ، خاصة النساء عن معدلات الإنتحار

فى أمريكا وإنجلترا ومشاكل السياسة الإنجابية والزواج والعنوسة بين الشباب ووضعية عشرين مليون مسلم فى الصين وحديقة القوميات وأساطير ومهرجانات الصين .

يبدأ المؤلف كتابه الصين معجزة القرن الذى صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بسياحة ثقافية تاريخية يعرض فيها حضارة الصين وهويتها الثقافية ومعتقداتها ومفهومها للثقافة باعتبارها وسيلة للوصول للحكمة التى التى لخصتها فلسفة التاو الصينية فى ٨١ قطعة أدبية أشبه بالقصيدة . ثم يستعرض الكاتب بعض كتابات ابن بطوطة وأبو حيان التوحيدى وأبو القاسم صاعد الأندلس وجمال حمدان والتى أشارت إلى عزلة الصين ليؤكد أن هذه العزلة تعكس المعنى العميق للحضارة الصينية التى عرفت البناء فى صمت بعيداً عن الصخب والتى أعطت العالم الكثير واحتفظت بتفردها وتجانسها على مدى التاريخ .

ثم يعرض الكاتب لغرام الصين بالأساطير وأسطورة آدم التى يتخذ منها ببراعة مدخلاً للحديث عن أحد الأساطير ، والتى يقصد بها معجزة الصين الحديثة فيقدم لقارئه من خلالها مجموعة البيانات والحقائق الجغرافية والاقتصادية لتكون تأشيره دخول لبلاد السحر والأساطير .

يفرد الكاتب الفصل الأول من كتابه لمنطقة الشين تشين الصينية التى تعد دليلاً حيًا على قدرة الصين على تحويل منطقة فقيرة إلى منطقة عصرية تحفل بأكثر من ١٠ آلاف مشروع . ومن خلال نموذج الشين تشين يلقى

الكاتب الضوء على سياسة الإصلاح الإقتصادى فى الصين والنظام الإقتصادى الذى يحكم هونج كونج وأطر الاستثمار . ثم يفرد المؤلف عدداً من الصفحات لمناقشة العديد من الظواهر التى شهدها المجتمع الصينى مع تطبيق المبادىء الرأسمالية مشيراً فى لفتة ذكية للتناقض ما بين إرتفاع مستوى الدخل وظهور مشاكل البطالة والتشرد والفقر . ثم يحدد الكاتب الشرور الستة التى تواجهها الصين والتى تتمثل فى المخدرات والإباحية والدعارة وخطف الإناث والقمار والإيمان بالخرافات . ويفاجئنا الكاتب فى إشارة واضحة بأن المشاكل والقلاقل التى تهدد المجتمع الصينى فيما يبدو إستلبت جزءاً من الحكمة وسكينة النفس التى ميزت شعب الصين لقرون طويلة ، إذ تشير الإحصائيات والدراسات إلى إرتفاع معدل الانتحار فى اليابان ليصل لـ ٣٠ حالة لكل مائة ألف نسمة وإرتفاع معدل إنتحار النساء خاصة فى الريف لتشكل ٧٥ ٪ من بين حالات الإنتحار الإجمالية . ويستعرض الكاتب الأسباب التى حددها الخبراء الصينيون تبريراً لهذا الواقع المؤلم ويحددها فى إستمرار معاناة المرأة الريفية وشقائها على الرغم من تحسن الأوضاع المعيشية بسبب قسوة أسرة الزوج وتحمل المرأة عبء تنشئة الأبناء فى الحقل . ويوضح الكاتب أن أسباب إنتحار الرجال قد ترجع أساساً للإحساس بالخزى والعار لإنجاب طفلة ثانية وإستنفاد فرصة إنجاب طفل ذكر .

ثم يفرد الكاتب الفصل الثانى لتوضيح الأسباب التى جعلت من

الصين قبلة لـلمستـثمرين الأجـانب والهدف والذى تسعـى إليه الصين فى القرن الجديد وعمليات الاقتصاد الحر عبر معدلات غير مسبوقة واحتمالات أن يصاحبها إصلاحات سياسية وهى القضية التى يخصص لها الباب الثالث والذى يستـعرض من خلاله المؤشـرات الدالة على حدوث تغـير فى الفكر السياسى الصينى على المستوى الإقليمى والدولى .

ثم يخصص الكاتب الفصل الرابع لشرح وتحليل أبعاد قضية القوميات إذ يتألف شعب الصين من ٥٦ قومية بعضها إمتداد لعرقيات من دول أخرى فى أراضى الصين . ويوضح الكاتب أنه بالرغم من التعدد العرقى والقومى فإن علاقات الحكومة المركزية فى بكين والأقليات ليست خالية من الشوائب نتيجة لبعض الإجراءات التى إتخـذتها السلطات الصينية على مدى سنوات لإضعاف الموروث الثقـافى . مع ذلك فالصين تحكمها ثقافة واحدة مـستقاة من تاريخ الصين وحضارتها القـديمة وتراثها الحديث الذى تمثله المادية . ثم يصطحب الكاتب قارئه فى جولة سياسيـة داخل حديقة القوميات في بكين والتى تعد متـحفًا حيًا لثـقافة وعادات وتقالـيد القوميات الصـينية ، حيث تجمع فى مكان واحد خلاصة الفن المعمـارى والعادات والتقاليد والموسيقى والغناء الشعبى والحرف اليدوية والأشغال الفنية والأطعمة القومية والمزارات التى تجسد البـيئة المعيشـية للقوميات الصـينية المختلفة . وكأى دليل خـبير بقواعد مهنتـه لا ينسى الكاتب أن يقدم لقارئه تاريخ إنشاء الحديقة وكـيفية ظهور وتحقيق الفكرة على يد السـيدة وانج ينج .

وتحت عنوان متاعب المرأة الصينية يستعرض الكاتب التحولات فى شخصية المرآة الصينية وتخليها عن طبيعتها المتحفظة للدرجة التى دفعت نصف نساء الريف وغالبية نساء المدينة لرفع شعار رجل واحد لا يكفى !! . ويسوق الكاتب العديد من القصص والدراسات ونتائج الإستفتاءات التى توضح الظواهر التى باتت تهدد الحياة الأسرية فى الصين مثل ممارسة العنف ضد الزوجات وتجارة النساء وإرتفاع معدلات الطلاق والعنوسة بين الشباب وقتل المواليد من الإناث وإنتشار عمليات الإجهاض والتخلص من الفتيات الصغيرات للتحايل على السياسات السكانية التى تتبعها الصين والتى أدت لإحداث خلل فى التوازن الطبيعى بين أعداد الإناث والذكور . وإستكمالاً لصورة المرأة الصينية يستعرض الكاتب نماذج سيدات الأعمال ومستقبل المرأة السياسى والدور الذى تلعبة زوجات قادة الصين للتمهيد لذلك .

وتحت عنوان الله أكبر ولو فى الصين وعلى غرار ابن بطوطة يقدم الكاتب بانوراما دينية يستعرض خلالها تاريخ المسيحية والإسلام ومعاناتهما خلال فترات الإضطهاد ويسبب سياسة قمع الحريات الدينية والإنفراجة التى حدثت فى التسعينات لتدق أجراس الكنائس ولتعمر المساجد من جديد. وفى هذا السياق يستعرض الكاتب النمط المعمارى لمساجد فى الصين ويتبع حركة إحياء الثقافة الإسلامية التى بدأت فى أوائل القرن العشرين .

إن كتــاب الصين معجزة القــرن العشرين يحــول أكثر الأرقام جــموداً والحقائق جفافًا لخيوط تتــداخل مع الطرفة والحكاية ولحظة التأمل والسياحة الفكرية لتشكل فى النهاية نسيجًا هفافًا أشبه بقطعة الحرير الصينى ولعل هذا السبب تحــديداً هو ما دفع الكاتب لأن يــخصص جزءاً من ملحــق الكتاب ليعــيد فيه تقــديــم الصــين بالحقائــق والأرقــام المجــردة وكأنه يطلب من قارئه بعد حــصوله على المتعة الثــقافية أن يعاود القــراءة من جديد ويمنظور أكثر علمية ليستوعب الدرس وليقرأ حــقيقة وضعية الصين وموقعنا منها فى عالم اليوم . .

❁



# قصص أبو النجا وثيقة تاريخ غير رسمية

يقول الناقد الفرنسى جوسناف لانسون إن التاريخ الأدبى جزء من التأريخ ، وهو ككل تأريخ يسعى لكى يضع يده على الظواهر العامة ويعزل منها الوقائع ذات الدلالة لكى يربط ربطًا سليمًا بين الجزئيات .

ولعل هذه المقولة بالذات هى أو ما قد يتبادر للذهن عقب قراءة الأعمال الكاملة للكاتب محمد أبو المعاطى أبو النجا ، والتى صدرت فى مجلدين يضمان إنتاجه الأدبى عبر ما يزيد على ربع قرن ، ذلك أن أعمال الأديب بكل ما تثيره مواقفها وشخصياتها ولحظاتها النفسية المكثفة المنتقاة تعكس بصورة أو أخرى علاقة التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع عبر فترة حرجة ، لتعد نوعًا من التأريخ غير الرسمى لوجدان أمة وللتيارات الشعورية فى نفوس أبنائها .

ورغم أن النقاد قد ظلوا حتى وقت قـريب يرون أن نقطة البداية للنقد الأدبي ينبغى أن تتم على أساس تفسير وتحليل الأعمال الأدبية من الداخل. وأن المؤرخين يعتـبرون أن محـاولة التعرف على مـلامح فترة تاريخـية من خلال الأعمـال الأدبية تعتبر نوعًا من الإثـم لا يمكن الصفح عنه . وتعديًا على التاريخ لا يمكن قـبوله ، إلا أن أعمال الكاتب أبو المعـاطى أبو النجا بخصوصيتها المتميزة وعـوالمها الثرية بالفكر والأحاسيس والعلاقات المستمدة من واقع تلك الفتـرة تعكس بوضوح مـعالم الحياة النـفسية والإجـتماعـية وتفرض قضية التعامل مع الأدب كظاهرة اجـتماعية . فالكاتب بتمكنه من أدواته الفنية وعدسته المصرية الصمـيمة إختار - دون وعى - أن يسير على درب نجـيب مـحـفـوظ ويوسف إدريس وغـيـرهـم ، ممن أرخـوا للواقع الإجـتمـاعى والنفسى والفكـرى لأبناء مصـر ، ذلك الواقع الذى لا يمكن العثور عليـه ين أوراق المؤرخين الرسمية . ففى المجـموعة الأولى للكاتب والتى تضم أعماله فى أوائل التـسينات ، نرى محاولة شخـصيات الكاتب لإكتشاف طريقها وبحثها عن حقـيقة الروابط العميقة التى تربطها . ببعض وبالآخرين حيث تشغلهم التناقضات الـتى تحملها النفس البشرية . . ما بين النزوع للحرية والتفرد والحـاجة للإنتماء للجماعـة . . الخيط الرفيع ما بين الحب العظيم والسـخط الهائل فى عـلاقة الجمـهور بالبطل أو الـزعيم . . البحث عن مفهوم جديد للعـدل . . إدراك معنى الوجود فى لحظة تتشابك خلالها خيوط الحياة بالموت . . ويتناول الكاتب كل هذه المفاهيم من خلال طرح لحظة تعبر عن لحـظة نفسية مركـبة ، تتداخل فيهـا إنفعالات اللحظة

الحاضـرة مع إنفعـالات الماضى ، أو عبـر موقف إنسـانى بسيط خـال من التعقـيد ، وإن كان مشحونًا بـالمشاعر ويفتت اللحظة النفسـية الواحدة إلى لحظات جـزئية غنـيـة بالدلالات تتـشابك وتخـلـق رؤيـة فنية وإدراكًـا جديداً لمعنـى عادى ، يزيد مـن عمق الـتجربة ويثـير فكر القـارى . ففى قـصة عـبد العـال يرصـد الكـاتب إنفعـالات حـارس المقـبرة ويتـدرج بالشخـصية حـيث يصل معهـا إلى موقف مغـاير يطرح من خلاله مفـهوم العدل والستر . بينما يلجأ فى قصـة السباق إلى الوصف والتحليل للعلاقة بين السبـاح والجمـهور المتراص عـلى شاطىء النيل ليظهـر المعنى الحقـيقى لمتناقضات علاقة الحب والكراهية والحـاجة للآخرين والإستغناء ، فى إيقاع لغوى معـبر يلاحق ضربات يد السباح فى الماء سـواء فى أوج قوتها أو فى لحظات الاعياء .

ثم تأتى أعمال المجلد الثانى والـذى ضم قصص الكاتب بعد عام ٦٧ لتعـبر عن الصدمة والإحـساس بالخواء والعـبثية حـيث ترى معظم الأبطال مثقلى الخـواطر يحاولون الوصول لاجابات جديدة ، فيـتعامل الكاتب فى المجلد الثانى مع قضايا الإنسان والـوجود والعواطف فى شكل رمزى حيث يختلط الحلم والواقع والوهم وتتلون الأفكار بألوان اللحظة النفسية وتكتسب اللغة إيحاءات تحتضن الوهم والخوف ليوحى الرمز بعدة مستويات.

ومع توالى قراءة القصص طبقًا للتدرج الزمنى لكتـابتها يتمثل القارىء الواقع الحى ظاهريًا وداخليًـا ويطفـو على سطح وعيـه إدراك جديد لمعـان

عاشــها ورآها من قبل وان لم يدرك حـقيقتـها بالضبط ، وهنا وبالتـحديد نكتشف قيمة جديدة لأعمـال الكاتب أبو المعاطى أبو النجا المتميزة فنيًا . . فهى وبإختصار شديد تأريخ أمين ومـوجع لنفسية أمة فى إحدى اللحظات الحرجة من تاريخها .

❁



# في هذا الصباح وسنوات الصمت الصاخب

عكست معظم رواياته وقصصه القصيرة المجتمع المصرى وتأثير الواقع اليومى ، بكل ما يحمله من أبعاد سياسية وإقتصادية وإجتماعية ودلالات ثقافية ، على شخصيات أعماله من حيث روايتهم للحياة وتفاعلهم معها .

وبعد صمت ظاهرى قارب العشر سنوات يعود أبو المعاطى أبو النجا بمجموعته القصصية الجديدة فى **هذا الصباح** ليقدم بعضًا من حصاد رحلته لتأمل البشر ومعانى الأشياء وليؤكد أن صمته الظاهرى هو المقابل المنطقى الوحيد للجدل الصاخب الذى إستبد به على المستوى النفسى والفكرى .. فعلى عكس معظم أعماله يستشعر القارئ منذ الوهلة الأولى وجود الكاتب أو على الأقل بعضًا من ظلاله فى كل كلمة وكل سطر .. وشيئًا فشيئًا تتجلى ملامح شخصية الكاتب بكل أبعادها الإنسانية والنفسية ورؤيتها الفلسفية التي تحاول إستكشاف الأوجه المتعددة للحقيقة والبشر .. فالكاتب لا يكتف برؤية وإستيعاب تفاصيل قمة الجبل الثلجى الظاهرة فوق سطح

الماء ، بل يمد بصره جاهداً لإستكشاف الزوايا والأبعاد والإنعكاسات الغارقة تحت تيارات الماء الباردة التى لا تظهـر سوى القمة الثلجية المخـادعة ناصعة البيـاض . . وعبر صفـحات المجمـوعة يطل أبو المعاطى أبو النجـا بصورة مباشرة من خـلال التجربة المستقاه من الحياة ، الممـزوجة بخيال الكاتب أو من خلال عملية الإستبطان والتأمل لأحـداث ومعانى ووجوه ، حتى لتبدو المجموعة القصصية بأكملها أصداء لسيرة ذاتية أو حالة تأمل فلسفية ونفسية، بطلها وراصدها والمعلق عليها الكاتب نفسه وإن تقمص أدواراً أخرى .

ومن المؤكد أن بناء القـصة أو الأسلوب أو إنتـقاء الكلمة وغـيرها من المفردات التى تستخدم عند التعرض للأعمال الأدبية لا مكان للحديث عنها عندما يتعلق الأمـر بكاتب له قامة أبو المعاطى أبو النجـا وموهبته وحرفـيته وخبـرته ، فهى أمور مـسلم بها ويمكن للقارىء أن يسـتشفـها منذ السطور الأولى لأول قصص المجموعـة والتي تحمل عنوان ذلك الأثر . . لكن المثير للاهتمام حقًا هو ما تثيره هذه القصص من أفكار ورؤى تستحق التأمل . . ففى القصة الأولى وبعد أقل من خمسـة أسطر يطلق الحفيد تسأوله البرىء «جدى . . أنت ليس عندك شعر . .» فيكـون بمثابة الحجر الذى يسقط فى البركة السـاكنة ليستثير الذكريات وكل تداعياتها، لتزيل الغشاوة وتحدد الرؤية وتكشف الجانب المظلم الخفى فى النفس الذى نستره بمسميات أخرى لنهرب من الإحساس بالقهر ومخـاوف الطفولة ومن الكراهية المسكوت عنها عندما تأتى الخـيانة ممن نثق بهم وتـغلف بشعـارات وكلمات الحب والرعـاية . .

وتتداعى الصور ليصل الكاتب بصورة غامضة لعملاق أمسك فى قبضته الخرافية التى تحتوى على آلاف الأصابع بأعناق المصريين وراح يكويهم بالنار بحجة أنه ينقذهم من هلاك محقق ليتم تعميد شعب بطيبة الخائفين .

وفى قصة الدعوة عامة نشهد رحلة التنازلات على المستوى النفسى للمسلوب والسالب الذى يتناسى بمرور الوقت أن الإنجاز المحتفى به ليس إنجازه هو ، بل ويقتنع أنه هو صاحب الحق الأول والأخير فيه لتتأكد حقيقة أن الإنسان برصد كل دفاعاته النفسية لأنه لا يستطيع أن يواجه حقيقته فى المرآة أو ما تؤكده المقولة الشعبية ان كل واحد فى نفسه ملك .. ويعود الكاتب لنفس الفكرة فى قصة هذا الصباح لتصبح لحظة المكاشفة حلم وخيط رفيع ما بين الحياة والموت ..

ويطرح الكاتب مفردات الحب والعلاقة بين الجديد والقديم والاغتراب والتعطش للحب من خلال قصة حالة غير مستعجلة وقصة الأعمى .. والبحث عن قطة سوداء ..

وهكذا نصل لدرة المجموعة والتى أطلق عليها الكاتب النبيل والوغد .. فى رؤيته التأملية يطرح أبو المعاطى أو النجا مفهوم النصر والهزيمة ويتأمل حقيقة تقهقره وهزيمة النبلاء والموهوبين أمام أنصاف الموهوبين والمدعيين .. يقول . صديقى النبيل يحمل فى داخله بذور هزيمته .. يرى القضية من زاويتين .. ويستطرد قائلاً .. «الحقيقة الإنسانية تمتلك وجوهاً

متعددة بينما الإنسان الفرد لا يملك سوى فرصة وحيدة للوجود . . الوجوه المتعددة للحقيقة لا سبيل إلى رؤيتها إلا من خلال العلاقة الحية بين الأنا والآخر» . . من هنا فإن حرص النبيل على عدم إلغاء الآخر هو جزء من حرصه على الحقيقة . . ومن مشقة الحياة التى تتجلى الحقيقة من خلالها ، فمأساته تبدأ من قوة ذاكرته ومن موضوعيتها بل وحيادها وتعاطفه مع الآخر الذى يمنعه من مجرد التفكير فى أبنائه أو إلغاء وجوده . . ثم ينتقل بنا إلى سمات الوغد المنتصر فيقول انه يلغى الماضى والمستقبل لحساب لحظة الحاضر . . إنها سجنه الأبدى وسر قوته وسر قدرته على أن يصوغ حقيقة بسيطة سهلة تجتذب إلى صفوفه آلاف من المتعبين من جراء السير وراء النبيل . . «أن ذاكرة الوغد ذاكرة اختيارية لا يحتفظ فيها ولا ليستدعى منها إلا كل ما يخدم مواقفه ويدعم قراره ويبرر حروبه القذرة دون الشعور بالذنب أو التوقف لبرهة للتفكير . .

ويستكمل الكاتب سياحته مع البشر ليقدم المزيد من النماذج البشرية المحيرة فى عالمنا ، مثل ذلك الرجل الذى تتجمع فى يده كل الخيوط ويدرك نقاط الضعف والقوة فى كل من أهل القمة والتابعين في الظل ولكنه لا يحاول أبداً أن ينتقل من مكانه ليصبح من أهل القمة المهددين ، ويكتفى بمتعة الإحساس بالسلطة وتحريك الأحداث والأشخاص من خلال أصابعه كعرائس الماريونيت . . يصفه فيقول «له سمات العباقرة دون أن يكون له إنجازهم وإبداعهم . يستخدم كل الكلمات فى قاموس الحب والكراهية

والثورة والتـمرد ولكنه لا يعرف الحب ولا الكراهية ويمارس صلحًا مذهلاً بين المتناقـضات لصالـح بقائه .. يبـدو أنه يمتلك كل شيء ولكنه لا يكاد يملك حتى حياته التى تختصر أخيراً فى الدقائق الخمس «زمنه المفضل الذى يلتقط خلاله نقاط القوة والضعف فى كل شخصية يقابلها لأول مرة ..»

وعلى الصفحات الأخيرة من مـجموعة يطرح المزيد من الرؤىء حول العلاقة بين الحب والإمتلاك والحب والحرية .. والخوف الذى يكبل الإنسان فيـحول الحب إلى قـيد يكبل الروح والعـقل ويدفع بالإنسان للـهروب من فكرة الحرية بكل ما تحمله من غموض ومخاطرة ، ليستكين للمألوف وليبق الوضع على ما هو عليه ..

والمؤكد أن هذه القـراءة السريعـة لمجموعـة فى هذا الصبـاح تؤكد أن السنوات الماضية لم تكن إلا سنوات من الصمت الصاخب .. كانت ذروته مواجـهة لحظات الألم والإحـباط وتمزيق كل الأثـواب الزائفة والشـعارات الفضفاضة التى يتخفى ورائها البـشر ، ثم إستجماع الجرأة لسطر ذلك على الأوراق .

❁



# لوحات تذكارية على جدران الطفولة

من الخوف من أمى والخوف عليها .. عرفت أبى .. ومن القلق على أبى والشوق إلى صوته الجميل يرتل القرآن الكريم ويتغنى بالشعر ويقلب الكتب بأصابعى ، عرفت نفسى هذه إذن ينابيع الشعور ووميض الفكر فى طفولة كانت الماضى الذى لا يعطى والحاضر الذى لا يغيب .

هكذا إختار الأستاذ أنيس منصور وبذكاء شديد أن يقدم كتابه الجديد، البقية فى حياتى ، لوحات تذكارية على جدران الطفولة الذى يستكمل فيه سلسلة سيرته الذاتية التى عرض لها فى أكثر من كتاب من قبل .

ولعل أهم ما يميز الكتاب الجديد التى إتخذت فيه السيرة الذاتية شكلاً فنيًا يقترب من الرواية فى كثير من الأحيان . إنه يكشف للقارىء عالم أنيس منصور وتجارب طفولته المجهولة التى شكلت وجدانه وعقله وحددت منهجه الفكرى والصراع الدائم فى نفسه ما بين الرغبة فى الإستقرار

والشوق للإرتحـال بين الأماكن والناس والأفكار والزمان وإحســاسه الدفين بالخـوف الذى يدفـع به لأن يقف مـوقف المراقب لا المشـــتـرك فى بعض الأحيان .

فى هذا الكتاب يقـدم أنيس منصور بأسلوب جـديد وتركيبـات لغوية مغلفة بالرومانسية ، ومن خـلال الديالوجات المتبادلة بينه وبين من حوله أو بين الأقارب والجيران ، رحله من أمـتع رحلاته ، فهى رحلة داخل ذاته لم يحاول فيهـا أن يكسب ماضيه ألوانًا زاهية ، بل ترك الشخـصيات المحورية الممتدة فى كيانه وأعصابه ومشـاعره تتقدم - الواحدة تلو الأخرى من خلال عينى الصبى الصغير .

لقد ترك الشخصيات تتحـرك وتتكلم وتتحاور بحرية وكأنه كان ينبش فى أعمـاق نفسه فى مـحاولة لأن يقتـحم عقله ووجـدانه ، لتكون صوره بداية، رحلة البحث عن حقيقة ذاته .

لقد اسـتطاع أنيس منصور ومن خلال إخـتياره لفتـرة التكوين والنشأة قـبل الإنتقـال للقاهـرة أن يكشـف منابع القلق والخـوف والتمـرد فى نفس الكاتب الذى آثار من حوله دائمًا جـدلاً سواء نتيجة تبنيه للأفكار الفـلسفية المتمـردة فى بداياته وتزعمه لمدرسـة اللاإلتزام فى الأدب العربى أو بمواقـفه السياسية فى مرحلة لاحقة .

فـفى هذه المرحلة تجمـعت كل المتناقـضات . فكان حـبه للأم قـوته وضعفـه ، وكان الرفض والحلم والتمرد ، والقلق والشعـور بالغربة . لقد

فجرت حياة الريف والترحال الدائم وراء الأب الغائب وإنفراد الأم برعاية الصغير كل منابع الخوف والثورة المكتومة .. وما بين الرغبة فى الانطلاق والخوف النابع من تعليمات الأم يتحول الصغير إلى متفرج دائم تحرقه الرغبة فى التمرد .

ولعل هذا الصراع هو ما دفع به إلى أحضان مجتمع الغجر فى طفولته ثم إلى تبنى مذهب الوجودية فى شبابه .. فقد رأى فى مجتمع الغجر بترحاله الدائم وعزلته وقلقه صورة من نفسه .. وتجسدت الصورة بشكل أوضح مع رحلاته التى لا تنتهى فى الظلام سعيًا وراء رزق الأب ورغبته فى التمرد والإنطلاق .. ثم من عجزه عن الاستقرار .

ولعل الرحيل القلق والإنتقال كانت كلها الأسباب التى دفعت أنيس منصور لتجربة كل الأشكال الأدبية والمتابعة النهمة للمناهج الفلسفية والتحول من الإيمان المطلق بالوجودية إلى مرحلة أقرب للصوفية تتجلى بوضوح فى كتابه الأخير .. لقد كانت صور أنيس منصور هذه المرة أجمل ما كتبه فى سيرته الذاتية .. فقد كانت صورة صادقة من أعماق النفس ، جعلت من التجربة الشخصية خبرة . إنسانية تمس وجدان القارىء ودعوة لأن يحول كل منا طفولته إلى مجرد لوحات تذكارية لتكون علامات على الطريق .

✿

## ٢٥ أحزان هذا الكاتب

فى البدء كان الظلام والرطوبة والصمت والغـربة .. عايش أحاسيس العجـز واليأس والضياع والإسـتلاب والقهر فى مـواجهة مفـردات خرساء وحروف وكلمـات مبتورة وعـلامات إستفـهام تظل دائمًا وأبدًا مـعلقة فى الهواء بلا إجابة ..

وعلى طول الطريق كانت المحاولة للتخلص من هذه الجدران ، الواحد بعد الآخـر ، لكن كل الأوجاع ظلت حية تتـوالد ، لا تموت أو تغيب أو تتساقط مثلمـا يختفى الأحباء من حوله .. ظلت تزداد لتـحاصره وتخنقه رغم كل محاولاته الإرادية العـبثية ، تمتد إلى حـيث لا يدرى ليطفوا الآلم مهما حاول أن يتباعد .. أن يتظاهر .. ان يشاكس .. أن يتفلسف .. أن يتـأمل عن بعـد .. أن يستـدعى لذهنه كل مـقولات وتـنظيمـات الأدباء والفلاسفـة .. رغم ذلك ظل الطفل الواجف المذعور يحلم بلحظة الدفىء والوصول ليقين بعد أن تحولت علامة الاستـفهام الكبيرة إلى علامة تعجب أكبر !! .

للوهلة الأولى يصعب على المرء أن يتصـور أن من كان مثله يمكن أن يعانى للحـظة من إحساس بالضـعف أو بالخوف أو بالشك أو أن تخـتفى نظرته الساخـرة وراء سحابة حزن . . أنيس منصـور بكل تاريخه . . بكل معاركه . . بأرقـة المزمن وعقله المتيقظ . . بإعداد كتبه . . بقـامته المشدودة وصوته الذى تعكس بذاته السـخرية والتحدى اللتان تنطق بهـما عيناه وهو ينظر إلى كل شىء بداية من الجملة وإنتـهاء بالبشر والأفكار ، وكـأنه يقيم كل شىء ويزنه بالخردلة ليمحو ما لا يتسلل عبر مسامه وخلاياه ليصل إلى عقله .

حتى الـصفحـات التى سودها بمـعناته عن الأرق والانفلونزا لم يكن القارئ ليـأخذها قط على مجـمل الجد . . فقد كـانت دائمًا أشبـه بمجرد محطات إستراحة سريعة للكاتـب لإلتقاط الأنفاس قبل الخروج على قارئه برأى مستفز أو خبر مثير أو تحليل غير مألوف .

لكنها المحنة ولحظة الإدراك . . لحظة أن اضـطر أنيس منصور الكاتب والمنظر أن يتخلى دون إرادة منه عن مـقعده فى صـفوف النظارة ليكون هو البطل فى مـسرحيـة لعبة الموت ، ليصبح الوقوف على حافـة العدم مرادفًا للإدراك . ولإمتزاج الماضى بالحاضر وبملايين اللحظات فى عمر البشر .

ففى كتابه الذى إختار له عنوان ذى الفل أو أحزان هذا الكاتب، يلقى أنيس منصـور بحجـر فى الماء ليكون دوائر تتسع تـدريجيًـا . . فيـبدأ من الخاص جداً . . من تجربته ومـعاناته مع المرض وشبح الموت الذى لم يخيم

على منزل الأسرة الصغيرة فقط ، بل إمتد لينهش القلق والخوف والألم نفس الطفل الصغير ، مخلفًا ألمًا وجرحًا لم يندملاء أبدًا ، يتركا بصمة على حياة الكاتب ، فيقف على شاطيء الحياة ينظر ويراقب عن بعد خوفًا من مرارة الألم وهربًا من سؤال بلا إجابة ومشاعر مرعبة . . من لحظة الصدق ومن أعماق اللاوعى يتوهج إبداع الكاتب لتتحول بعض سطور وفصول سيراته لقصص قصيرة متكاملة تعبر عن تيار اللاوعى وتستدعى للذاكرة إبداعات فرچينيا وولف وغيرها . . لكن الطفل العنيد سرعان ما يطل برأسه ليعيد الكاتب إلى موقعه . . إلى موقف المتفرج وكأنه يذكره أن كبرياته لا يسمح له أن يكشف لحظة ضعفه أو الخروج من مكمنه وشرنقته التى نسج خيوطها حول ذاته خوفًا من ألم يجرفه إلى هوة سحيقة مرعبة . . ومن جديد يتراجع الكاتب ليقف على السفح يرقب بعين الفيلسوف رحلة الآخرين عبر البرزخ ولكنه لا يتورط أبدًا فى فعل التوحد معهم . . تتسع الدائرة ، فيصف الأيام الأخيرة لتوفيق الحكيم ولحظة السبات التى أطفأت وهج عقل العقاد ، ليتحول لمجرد كتله يجب أن توارى فى ظلام بطن الأرض ، فقد فرغت دنياه ودنيا من حوله من معانيها وألوانها وبدت أشيائه وكأنها قد سبقته للموت .

وتتكرر اللحظة مع إحسان عبد القدوس والسادات وأمل دنقل وموسى صبرى ، . . و . . ولكنه فى كل هذه اللحظات يظل نائيًا بنفسه محاذرًا أن يقترب هو شخصيًا على المستوى النفسى من دائرة العدم . . فيفلسف

الأمر ويناقش أشكال الموت ووجوه وتحوله إلى حدث معتاد وممارسات رتيبة وإن اختلفت بإختلاف الأشخاص والشفافية النفسية والعقلية لكل منهم .. فالموت لدى البعض صورة مفزعة تبكية على نفسه وتذكرة بمصيره ومصير أحبائه ، بينما كان الموت لتوفيق الحكيم هو صحوة الإدراك .. فالعقل صغير جائع حالم والكون كبير جداً ، والعمر أقصر من أن يدركه الإنسان أو يستوعبه .. يرقب أنيس منصور لحظات انطفاء توهج الروح والعقل لتتحول الحياة إلى مجرد رحلة بين ظلام الرحم وظلام بطن الأرض وليصبح كل ما بين نقطة البداية والنهاية مجرد محاولة للعثور على شعاع ضوء ..

ومع بداية المحنة وتوقف ووصول الأوكسجين إلى الرئتين وإحتمالات تحرك الجلطة لتصل للقلب أو المخ تضييق الدائرة مرة أخرى ويبدأ أنيس منصور رحلة من نوع جديد .. الأفكار فيها والصور والأحاسيس تتدعى إليه ولا يستدعيها .. يبدأ رحلته إلى اللاوعى داخل النفق المظلم ليتحول لمجرد عقل وإحساس منفصل يرقب جسمًا غريبًا منفصلاً عنه .. رحلة تتداعى فيها صورة الأم والذكريات وأقوال الفنانين والشعرآء والفلاسفة الذين عرفهم أو إلتقى بهم بين سطور كتاب .. ويمضى أنيس منصور فى رحلته مازجًا الماضى والحاضر فى لحظة آنية حية تهرب من أسر صور الرجولة التقليدية التى ترفض الإعتراف بلحظة الضعف والخوف والإحتياج، تهرب من الصحفى المشاكس والفيلسوف ، لتشف تدريجيًا عن

صورة الطفل الذى مازال يتساءل عن الموت والمرض .. عن لحظة العجز والإستسلام لكائن أسطورى بشع يستلب الروح والكبرياء والضحكة الصافية..

وإذا كان أنيس منصور رغم محنة مرضه ومرض شريكة الحياة لم يتخل عن طبيعته المشاكسة لقارئه ولعبه إختبار الذكاء المتبادلة بينهما دائمًا وأبداً فقدم كتابه تحت عنوان متناقض - **زى الفل أو أحزان هذا الكاتب** - ربما للسخرية من تكرار الأطباء لنفس الكلمة للمريض أيًا كانت حالته أو لأن الطفل العنيد بكل ميراثه الطويل يرفض أن يظهر لحظة خوفه وحيرته أو لمجرد بث الطمأنينة فى قلب قارئه وتأكيده له أنه قد استعاد لياقته النفسية من جديد .. إلا أنه من المؤكد أنه رغم الحزن الجليل الذى كشفت عنه سطور الكتاب واللحظات الموجعة فى مواجهة المرض والوقوف على حافة الموت ولحظات الغياب التى حولها الكاتب لحضور أقوى من العدم ولحظات إدراك غموض الأفكار والمعانى وعدم قطعية الأحكام لأن الإنسان صغير مثل أفكاره وآماله ودنياه ، فإن أنيس منصور لم تخذله ذاكرته ولا مشاعره ولا فنه .. فهو رغم كل شىء (زى الفل) .. فها هو يقدم صوراً من سيرة حياته فى بناء قصص أحيانًا وفلسفى أو ساخر فى أحيان أخرى.. ومازال أنيس منصور يتسأل أيهما أفضل أن نعيش أم .. أن نحيا ؟ !!

❁

## ٢٦

# قضايا عكاشة في منخفض الهند الموسمي

«وكأن كل إبداعي قبض ريح ..» جملة قالها الكاتب الراحل د. يوسف عز الدين عيسى بكل المرارة ويتردد صداها في أذني كلما واجهني موقف أضطر فيه للمقارنة بين وضعية الأدب المقروء والدراما المسموعة أو المرئية . . نفس الجملة ألحت على ذاكرتي منذ شهور عندما صرح لي أحد كتاب الرواية المعروفين أنه اكتشف بعد أكثر من ربع قرن أنه أضاع جهده هباءً رغم كل عدد الكتب المنشورة وأنه قد اختار أن يكرس جهده بالكامل لتأليف الدراما التلفزيونية وسيناريوهات الأفلام . . في تلك اللحظة كدت أقول لصاحب التصريح الذي بدى غريبًا وغير منطقي في ذلك الحين . . «سبحان الله ما الذي حدث في الدنيا . . لقد رحل عبقري الدراما الإذاعية د. يوسف عز الدين عيسى رغم الأثر الذي خلفه على الدراما الإذاعية وفضله المشهود له بتطويرها ، وهو كاسف البال واعتبر أن

كل جهده ضاع عبر الأثير وأنه كان من الأفضل له لو أنه تفرغ لتأليف الكتب.. واليوم إنقلبت الآية لتكرر نفس الكلمات وإن كان الإبداع المقروء الآن قد حل مكان الدراما المسموعة ليصبح المتهم الحقيقى المسئول عن إحباطات الكتاب ..

ورغم أن بعض كتابنا مثل نجيب محفوظ ويوسف السباعى ويوسف إدريس ويوسف جوهر قد مارسوا لبعض الوقت كتابة السيناريوهات السينمائية ، إلا أن الأمر ظل دائمًا فى إطار جهد إضافى لإضفاء لمحة أدبية وقيمة فنية للفيلم ، ليظل لإبداعهم المطبوع مكان الصدارة فى قائمة إهتماماتهم .. مع ذلك فلم يخل الأمر من بعض المبدعين فى جيل الوسط ممن إختاروا أن يكرسوا جهودهم للإرتقاء بالدراما الإذاعية مثل د. يوسف عز الدين عيسى وعبد الرحمن فهمي وطاهر أبو فاشا وإيهاب الأزهرى وغيرهم من الأسماء التى تركت بصمتها على الدراما الإذاعية .

رغم ذلك فقد ظل النمط السائد دائمًا هو طبع العمل الأدبى ثم إعداده فى مراحل لاحقة ليتحول لفيلم سينمائى أو مسلسل إذاعى أو تلفزيونى أو حتى عمل مسرحى .. فالحلم دائمًا بالكلمة المطبوعة وبعد ذلك يأتى أى شىء ..

ولكنه وعلى عكس كتاب جيل الستينات ورغم ما كانت تشى به كتاباته من موهبة متميزة لها مذاقها الخاص ، إختار أن يتفرغ للدراما التلفزيونية .. ورغم ضعف الإمكانيات المادية والفنية للتلفزيون فى مراحله الأولى ، إستطاع أسامة أنور عكاشة أن يقدم لجمهور الشاشة الصغيرة دراما عميقة تختلف عن شكل سوب أوبرا Soap Opera المتعارف عليه بحبكتها المعروفة مسبقًا وشخصياتها السطحية .. إستطاع أسامة أنور عكاشة فى أعماله الأولى مثل أبواب المدينة والرحلة والشهد والدموع أن يوظف شخصياته المرسومة بدقة ليناقش العديد من القضايا والأفكار التى كان من المستحيل أن تصل لرجل الشارع إلا عبر الدراما الإذاعية أو التلفزيونية وأن يعبر عن التفاعلات فى النفس البشرية ولحظات إنكسار الوطن وتداعياتها فى النفس والتحولات المنطقية فى شخصيات ودوافع معظم شخصيات أعماله .

مع ذلك فيبدو أن حماس أسامة أنور عكاشة لبعض القضايا الهامة فى لحظات مصيرية فى تاريخ الوطن كان يدفع بالكاتب فى بعض الأحيان أن يجور على المتطلبات الدرامية للعمل ، فتعمد بعض الشخصيات لإلقاء منولوجات طويلة مباشرة أشبه بالمقالات الصحفية ، كما حدث على سبيل المثال فى مسلسل أرابيسك وأهالينا وغيرها من الأعمال الأخيرة للكاتب .. وكأن الكاتب الموهوب قد فقد للحظات إيمانه بقدرة التوظيف الدرامى الغير

مباشر أو بحساسية الجمهور ، فاضطر أن يلجأ إلى المباشرة الفجة التى تخل بالسياق الفنى للعمل . .

من هنا أعترف أننى لم أشعر بحماس شديد وأنا ألتقط أحدث أعماله الروائية - منخفض الهند الموسمى - فقد تصورت أنها صورة مكررة لبعض من أعماله الأخيرة التى كثيراً ما بعثت الحزن فى نفس كل من يقدر موهبة الكاتب ، وفرضت على الكثيرين منا أن يتسألوا إذا ما كان الكاتب يهمل تقنياته بعد تحقيق النجاح والشهرة بإعتبار أن إسمه شهادة ضمان دائمة لا يمكن للجمهور أو النقاد أن يشككوا فى سلامتها !!!

لكنها المفاجأة . . فها هو أسامة أنور عكاشة يستعيد تألقه الحقيقى ويقدم للقارىء العربى عملاً متكاملاً ممتعًا . .

والكاتب هنا لم يضح بقضاياه الفكرية ولم يقحمها على السياق الدرامى ، فهى جزء من نسيج العمل وهى أوضح وأكثر عمقًا وتأثيراً فى النفس . .

وإذا كانت قيمة الإرتباط بين القهر والعقم من إحدى التيمات الأدبية التى عالجها كثير من الكتاب من قبل ، مثل شخصية رجل البوليس العقيم فى مسرحية باخو «الحكاية المزدوجة لدكتور بالمو» وحالة القهر المعنوى التى عاشها كمال أحمد عبد الجواد فى ثلاثية

نجيب محفوظ ، فجـاء حبه دائمًا حبًا عاجزاً عقيمًـا سلبيًا ، و ولم تتحقق رجولتـه قط إلا بين يدى العاهرة التى كـان المستحيـل أن يرتبط بها ، رغم ذلك فإن أسامة أنور عكاشة يوظف الفكرة توظيفًا فنيًا ليلف العقم والجدب والوحدة الروحية كل شـخصيات العمل حتى الثانويـة منها . . فالعقم فى منخفض الهند الموسمى ليس عقمًا ماديًا بقـدر ما هو تعبير عن حالة عقلية ونفسـية يتحـول فيهـا كل ترس فى آلة القهـر الجهنميـة إلى مقهـور يعانى الوحدة وإفتقـاد القدرة على التواصل مع الآخرين أو حتى مـجرد التعاطف الإنسانى . .

لقد أجدبت روح البطل وعاش الخيانة ، حتى قبل أن تساوره الشكوك فى سلوك زوجتـه أو زوجة صديقه . . عـاشها مع حـرمانه من حنان الأم التى خانت أمومـتها عندما رحل الابن الأثير لقلبهـا فتمنت فى اللاوعى لو أنه ظل وذهب أحد شقيقيه . . ثم مع زواج شقيقه من خطيبة الأخ الراحل وخيانة العم لزوجته التى لم ينكر عليها شيئًا ، بدعوى الحق فى الإنجاب. . وعاشها هو الصورة لا إراديًا عندما إستسلم لأقداره التى طوحت به لدراسة وعمل لم يحلم بأى منهما . .

وهكذا حاصـرته الخيانة فى كل أشكالهـا ليصبح التـساؤل المطروح ، حول تعريف الخيانة وإذا ما كانت جسدية أو معنوية وإذا ما كانت التبريرات الأخلاقية وشعـارات المناخ العام والفساد مجدية فى إصباغ صبـغة أخلاقية

على سلوك البشر ، الخيط الحقيقى الذى يربط بين الشخصيات والحدث المتنامى الذى لا تستغرق مدته أكثر من ستة أيام .. فمع هبوب الرياح الساخنة من منخفض الهند الموسمى تتبلور أبعاد الأزمة التى ندرك أسبابها ومقدماتها من خلال تداعى أفكار وذكريات شخصيات العمل .. ومع بداية إنكسار الموجة الحارة تلوح لحظة الإدراك فيقرر البطل أن يتخلص من كل القيود التى تثقل روحه ليبدأ من جديد ، وكأن قطرات العرق الملحية قد فتحت كل الجروح لتخرج القيح الكامن فيها .. وفى خط متوازى ومن خلال شخصية إجلال زوجة الأفاق حمادة غزلان وعلاقتها به وبالأنباء يحفر أسامة أنور عكاشة خطًا أكثر حدة ووضوحًا ليصبح القهر والاستسلام مقدمة طبيعية للسقوط المادى والمعنوى الكامل .. فها هى زوجة الأفاق التى رغم كل الإحتياطات التى إتخذتها ، تفشل فى حماية إبنتها من مناخ القهر والإستسلام للتجارة الحرام بدعوى الظروف ، لتتحول هى وأبنائها بالتبعية لنماذج شهائه ملطخة .

إن رواية منخفض الهند الموسمى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الكاتب أسامة أنور عكاشة بابتعاده كل هذه السنوات واستغراقه فى الدراما التلفزيونية ، أيًا كانت مبرراته ، قد حرم الرواية العربية لسنوات طويلة من إبداع له مذاقه الخاص .. كما تؤكد أيضًا أن العمل الأدبى المقروء ، برغم

موجة التأليف التلفزيونى ومبرراته من حـيث الشهرة والوصول للجماهير ، مازال يحـتل عرش الأدب وأنه مهـما بلغت موهبـة وحرفية كـاتب الدراما التلفزيونية ، سيظل للعمل المقروء أبعادًا أكثر عمقًا . .

وفى النهاية لا نملك إلا أن نقول ..

«أستاذ أسامة..

عود حميد..»

✿



# في المنفى كل الأشياء تموت

من بين سحب القهر يشرق الحلم ، يتوهج ويلف الجميع لتصبح أحلامهم الخاصة إمتداداً للحلم الكبير ويمتزج الحلم الخاص بالعام . ثم كان الإنكسار والعزلة فى شرنقة صغيرة جدا ، خيوطها اللامبالاة واليأس والسعى وراء المصالح الشخصية أو الهروب المادى والمعنوى ، يتقوقعون متصورين انهم بذلك صنعوا لانفسهم عالما ينأى بهم عن أحزان الواقع لكن هذا الغلاف الهش الذى يحاصر الحلم ويجهض الأطفال قبل الميلاد ويصيب الجميع بالعقم والعجز ما يلبث أن يتفتت تاركا الجميع فى العراء ، مدركين انهم حتى فى منفاهم الإختيارى وعزلتهم لن يعرفوا الاسكينة الموت . ولا يبقى سوى هنادى لتجسد حلم الخروج والإمتزاج بالعالم والتجربة والخطأ دون خوف أو قيود أو تطلع لكمال الملائكة ولندرك نحن القراء أنه فى لمنفى كل الأشياء تموت .

هكذا ومثل حكيم القرية الحافظ لتاريخها وأسرارها ولآلئ حكمتها ،

يمزج بهاء طاهـر فى روايته الحب فى المنفى بين الهم العـام والهم الخاص، فيضيق العـالم الرحب وتتحكم قوى الرعب والقهر التى تحكمـه فى مصير شخـصيات الكاتب التى لا يصـفها أو يرسم لهـا صوراً نفسـية مسبـقة بل يعايشـها ويتركهـا تتبلور وتعبر عن نفـسها ودوافعـها من خلال صفـحات الرواية ولنعـيش نحن معـهـا لحظات الإنكسار والغـربة التى صنعـتهـا كل شخصـية لنفسهـا هروبا من العالم الخارجى أو الجنون . فأسـتاذنا الذى لا نعرف له إسمًا مثل كثير مـن أبطال بهاء طاهر إختار منفاه يوم تكسر حلمه الكبيـر فى الوطن لتتوالى هزائمـه الشخصيـة الصغيـرة فى العمل والزواج والابناء ، ولتبـدأ رحلة المنفى الحقـيقيـة من بلاده يوم اختزل حلمـه وأماله وحصرهمـا فى السيارة الفارهة ، لا عند وصوله لمقـر عمله الجديد . على مستوى مـوار تغرق برجيت الحسناء البيضاء فى حلمـها بالطفل الذى تحمله فى أحشـائها وتنأئ بنفسهـا عن أزمتها وأزمـة زوجها الأسود التى فـجرها زواجهما فى مجتمع عنصرى . لكن عـزلتها وإغراقها فى حلم مخنوق لم يحم جنينها الذى أجهضه العنصريون وأجـهضوا معه كل احلام الزوج، بل وإحترامه لنفسه. وفى المرة الثانية وعندما تتصور أنها نأت عن أحزان العالم وأنها ستنجـو وسينجو إبنها بالحب ، يجهض الطفل الذى ولد فى خـيالها وعاش للحظة واحدة عـشق فيها الأشجار والشعـر وهزم أحزان العالم . . يموت على طرف سؤال الأستـاذ . . وعندما تحاول الين أن تقتنص فرصـتها الأخيرة فى السـعادة فتحـاصر يوما الهارب من مصـر بين جدران المطبخ ، خانقة حلمه فى العمل الصحافة ، لتحـتفظ به ولتحافظ على عالمها الصغير الذى خلقـته ، يقتـحم الأميـر العربى الذى يمثل منظومـة تحالفـات العالم

الجديد الجدران الضيقة ليسلب عقل يوسف وارادته ولا يبقى منه لالين سوى وجود مادى تخشاه وتتحين الفرصة للتخلص منه .

وفى الكهف المظلم يزداد الشعور بالعزلة والعجز .. عجز يدمر إبراهيم مرتين مرة فى الحب ، وأخرى عندما تحاصره الجثث فى مخيمات اللاجئين ويفقد الابن براءته وتعاطفه مع البشر وتتخلى الزوجة عن قناعاتها ويختزل كيان يوسف فيتحول لمجرد اداة .

وتتهاوى أعمدة العالم الصغير برحيل برجيت وإنهاء مهمة الأستاذ بالخارج بعد أن إكتشف حقيقة الأمير ومن وراءه . وعندما تقف أسوار القصر الشاهق والكلاب الشرسة حائلاً بينه وبين مواجهة الأمير تقوده خطواته إلى حديقة النسيان ليطالعه من جديد وجه بيدرو الذى حوله التعذيب فى بلاده ومطارات رجال الأمن فى البلد الاجنبى لتاجر حشيش مطارد وليكتشف أن هروبه من العالم وخلق عالم صغير من الفرح مجرد وهم وأن المنفى الوحيد الذى يعزل الإنسان عما يحدث فى العالم لينعم بالسكينة هو الموت .. وهكذا ومن خلال البساطه اللغوية والتلقائية التى عبرت بها شخصيات الحب فى المنفى عن نفسها فى رحلة بحثها عن سر إنكسارها وأحزانها ومن خلال الوصف المحايد للراوى والمواد الوثائقية التى إستعان بها الكتاب وإمتزجت بنسيج العمل ، قدم بهاء طاهر عملاء روائيا متميز فنيا ، جسد فكره وإحساسه بالإنسان والعالم وبكم الرعب الذى يحيط بنا ليخنق حتى احلامنا الصغيرة .

✿

# ٢٨ ثروت أباظة..
# وسمات.. من الزمان

بغض النظر عن الخلافات السياسية وحدة بعض أرائه التى ألبت عليه الكثيرين ، وهجـومه الشديد على فترة من تاريخنا تشكل خـلالها وجدان جيل كامل ، فعاش النصر والهـزيمة والحلم الذى تهاوى تحت طرقات أكثر من معول ، وأصـبح من المستحيل علـيه أن يغفر لمن يحاول أن يمـزق بقيا نسيج حلمه . بغض النظر عن هذا كله ، وبعيـدا عن السياسة وأحوالها ، لا يستطيع أحد أن يتجـاهل مكانة الأديب الأستاذ ثروت أباظة ولاأن يغفل دوره كواحـد من أهم الوجوه الأدبيـة التى شكلت الجيل الثـالث فى عالم الرواية العربية . فعبر رحلتـه الطويلة فى عالم الأدب ، ومنذ البداية عمد الكاتب إلى إضفاء الطابـع العربى والمصرى بالتحديد ، على أعـماله سواء من خلال الشكل أو المضمون أو نوعـية الشخصية التى يتناولهـا ، متسلحا بوعى عمـيق بالذات العربـى ولغة عربيـة رصينة وحس مـرهف مكنه من

التغلغل فى أعماق النفس البشرية والواقع المصرى ليكتشف ماوراء الوجوه والواجهات البراقة .

ومما يحسب للكاتب الكبير إسهاماته الأدبية التى خرجت بالريف المصرى من إطار الكارت بوستال اللامع وأحاديث ، الرحالة وأبناء الطبقة الأرستقراطية ، الرومانسية عن جمال الريف وهدوئه وسلامه . . فاذا كان الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى قد قدم لنا فى رائعته الأرض ، الفلاح فى مواجهة السلطة وعوامل القهر الاجتماعى والاقتصادى ليكشف زيف صورة الفلاح المتهنى المرتاح ، فان ثروت أباظة قدم الصورة النفسية ومطامع البشر فى تلك البقعة الساكنة على السطح ، ليكشف السلام المزيف الذى يخفى وراءه الصراعات النفسية وعوامل التحلل التى تتعرض لها النفس البشرية فى إطار خلفية تعبر عن واقع سياسى واجتماعى . .

من ناحية أخرى ، فرغم أن الفكرة عنصر أساسى فى أعمال الكاتب ، تظهر بوضوح للقارئ ولا يمكن لعقله أن يخطئها ، إلا أن الكاتب خاصة فى أعماله فى المرحلة الثانية ، بداية من هارب من الأيام ، لم يكن يفرضها بالإلحاح أو الخطابه ، إذ تمتزج الفكرة فى نسيج العمل ككل وتتغلغل خلف الحدث من خلال الصورة والنسق التعبيرى . .

وهو فى تمسكه لأن يخلع القبعة عن الرواية المصرية لم يندفع مثل غيره لاستخدام الرمزية المغرقة فى الغمرض التى تحير قارئة وتفقده إهتمامه بالعمل ، فحتى فى الأعمال التى إضطر خلالها للتوسل بالرمز مثل رائعتيه شئ من الخوف وهارب من الأيام ، كان الرمز واضحا جليا لا يغرق القارئ فى متاهات بعيدة عن قضية الكاتب الحقيقية . . وفى نفس الإطار وعلى مستوى آخر بدأ الكاتب فى مرحلة تالية فى توظيف الأسطورة والقصص الدينى . بشكل شبه كاربونى يسهل التوصل لأصوله حتى فى صورته الجديدة العصرية ، ليكشف لقارئه حقيقة النفس البشرية وغرائبها التى لا تختلف بإختلاف العصور والأماكن ليؤكد أنه على المستوى النفسى للإنسان ، لا جديد تحت الشمس . .

هذا بعض من الاستاذ ثروت أباظة الذى حمل إبداعه سمات خاصة سواء من حيث القدرة على التعبير وسرد الحدث والبساطة التى تغرى بالتأمل والنظرة الفاحصة لأعماق أبطاله الذين إختارهم من أحشاء الواقع ليعبروا عن الضعف البشرى وقوى الخير والشر هو أيضا الكاتب الذى ظلمته السياسة .

وفى روايته الجديدة سمات من الزمان والتى يمتد مسرح الحدث فيها من عصر ما قبل الثورة إلى نقطة ما فى حاضرنا ، يواصل الكاتب تيمته المفضلة ، فيمثل بطل الرواية نوعية البشر المتسلقة التى تتغير مع كل عهد

وتتآلف مع كل وجه بهدف تحقيق كسب غير مشروع . . وفى سبيل تحقيق هذا الكسب لا يتورع البطل أن يطأ فى طريقه حتى أقرب الناس اليه . . والرواية كما ظهرت مشروع جيد لرواية كبيرة تتيح للكاتب أن يصول ويجول فى ملعبه ليقدم لنا بصورة أعمق وأوضح صورة نفسية لتلك المجموعة المتنافرة من البشر الذى جمعتهم المصادفة وجعلتهم رغم إختلاف خلفياتهم وأهوائهم ومشاربهم ضحايا للمتسلق الكبير . فالأستاذ ثروت أباظة ، وفى ذروة حماسه وإندفاعه لتأكيد وصولية البطل ورسم أدق إنفعالاته النفسية، إكتفى باشارات عابرة لتلك الشخصيات ودوافعها ، ليحولها إلى مجرد أدوات ثانوية مائعة غير واضحة المعالم ، تدور فى فلك بطل الرواية . . ورغم أن الكاتب يؤكد فى أكثر من سطر أنه سيترك مهمة التأريخ للمؤرخين، إلا أنه لا يستطع فيما يبدو أن يخرج من إطار ذاتيته ، فيزج أكثر من مرة برأية وتقييمه لأحدث التاريخ بصورة كفيلة بأن تخرج القارئ من حالة الإندماج ومعيشة الشخصية حتى ليكاد أن يصبح الشاغل الوحيد للقارئ معرفة هوية البطل والشخصيات الثانوية. . وقد لا يخلو الأمر من قارئ ظريف ، من المؤكد أنه قد يحاول الإتصال بالكاتب لمعرفة إسم البطل، الذى كان هدف الكاتب بالتأكيد عندما إستوحى شخصيته ، أن يوظفه فنيا ليكشف عن النوازع النفسية لهذه النوعية من البشر ، ولكنه ومع الأسف حاد عن هدفه فى اللحظة الأخيرة.

وأخيرا فإن من حق القارئ على كاتبنـا الكبير ثروت أباظة أن يستمتع بلغته العربيــة الأصيلة وبعمل فنى متقن ، مثل كثـير من أعماله التى لاقت نجاحا على المستوى الفنى والجماهيرى .

فهل نأمل من كـاتبنا أن يعود لوفاته للرواية وأن يـترك مهمـة التاريخ والتعليق المباشر لمقالاته الأسبوعية ؟؟؟

## ٢٩ نفثة مصدور أم لحظة صدق

ظل المكان والزمان يلقيان دائمًا بظلالهما على عالم جمال الغيطانى وشخصياته ، كما ظلت محاولة الوصول لخصوصية الأسلوب الأدبى ، من خلال إستلهام الذات وخلق عالم روائى له تراكيبه اللغوية الخاصة المعبرة والمتصلة بالمضمون ، سمات واضحة فى كل أعمال جمال الغيطانى منذ بدايته فى أوائل الستينات وحتى الآن .

وفى مجموعته القصصية ، نفثة مصدور يختار جمال الغيطانى أن يخرج من عالم التراث بأماكنه وشخصياته وأحداثه التى كانت كلها بمثابة الضمير الواعى الذى يستشف المستقبل من خلال أحداث الماضى ، ليستشكف منطقة أشد وعورة وأكثر حساسية ، ليكون المكان هو مساحة المشاعر والنفس البشرية ، وليتحول الزمن إلى مجرد لحظة تنويرية . قد تكون لحظة خوف أو تحد أو إحباط أو حتى حنين صوفى للانهائية .

ورغم أن المكان وطبيعة الشخصية والتراكيب اللغوية كانت كلها أول ما يستلفت إنتباه القارىء واهتمامه فى معظم أعمال الغيطانى السابقة ، إلا

أن فكرة الزمن الذى يحـول الإنسان إلى صورة باهتـة أو محـاولة الإنسان التوحـد مع الكون والأفكار المطلقة لقـهر ضعـفه ومغـالبة الموت والفناء ، كانت بمثابة المنمـنمات غير المرئية التى تطل من بين سطـور أعماله . لكننا فى المجموعـة الجديدة نقف وجهًا لوجه مع هذه الرؤى التى تفرض نـفسها بوضوح بعد أن إكـتمل كيانها ونضـجها . إذ يعرى جمـال الغيطانى نفس الإنسان فى أدق لحظاتها عندما يتوارى صخب الحـياة ويتحول لمجرد خلفية ويصبح الحدث البسيط أو الكلمة العارضة لحظة تنويرية يتعرف فيها الإنسان على نفسه دون أقنعة ويتحول الزمن إلى لحظة صدق .

يختـار جمال الغـيطانى عدة لحظات حـاسمة مـثل لحظة الخوف التى تنشب ومـخالبـها فى نفس الإنسـان عندما يواجـه المجهـول الذى يعـرفه ولايدرك أبعاده ليصـبح فريسة لمشاعر متـضاربة ومتناقضة ما بين الإسـتثارة والتحدى والرعب . ولحظة إكتشاف الإنسان لغربته ووحشته فى هذا العالم عندما يتـعرى من الأرقام والبطاقـات والوثائق ، ليدرك أن إنتماءه الوحـيد وهويته مجرد لحظة تائهة فى مكان مفقود فى أحد أركان الذاكرة ، كما فى قصة دخول ، وينتقل بنا جمال الغيطانى إلى تنويعة إنسانية أخرى فى قصة «مراقبة» عندما تسود الأوراق الرسمية وتطرح جانبًا ليلتقى المراقَب السياسى والمخبـر على المستوى الإنسـانى ليدرك كل منهـما مدى ضـعف وقلة حيلة الآخر وأن لعـبة القط والفأر التى يلعـبانها لا معـنى لها ، لأنها مفـروضة عليهما . ويتناول الكاتب فى لمسة شاعرية فى قصة لماذا طار العصفور لحظة

شبه صوفية ، فيطرح حلم الإمتزاج والتوحد الذى يخنقه الممنوع والمستحيل. فيحاول الصغير أن يحتوى الدنيا بين ذراعيه ويقبلها ولكنه لا يجد من حوله سوى فراغ ، ثم يمد يده للعصفور يأجمل ما فى الكون ، لكن يديه ترتد إليه خاوية بعد أن طار العصفور مخلفًا وراءه علامة استفهام ستتوارى مع الأيام وتراكم الخبرات ، ولكنها ستترك فى النفس دائمًا حسرة ولحظة أسى على حلم مستحيل .

إن نفثه المصدور التى أطلقها جمال الغيطانى - كما أراد أن يطلق عليها فى مجموعته ، ما هى إلا تراكم للحظات صدق وإستكشاف للنفس ، عايشها الكاتب وجعلنا نعيشها معه لعلنا ندرك ما وراء اللحظة قبل أن تندثر وتندثر معها .

❁

# ٣٠

# دنا فتدلى ومنمنمات الغيطانى..

فى كل أعمــاله يتجلى من بين السطور إحـــساسه المفــعم بالزمان ، و حيرته حول موضعـية المكان منه ، وأن كان المكان دائما هو نقطة الإنطلاق لرحلة ممتدة متوغلة إلى اللامرئى ، بحثا عن الحقيقة الغائبة . . واليوم ومن خلال عمل آخر من سلسلة أعماله دنا فتدلى يبدو وكأن الروائى ، والمفكر جمال الغيطانى قد إستطاع أن يتلمس الإجابة التائهة لسؤال عمره الحائر . .

ففى دنا فتــدلى يمتزج فن كتابة الســيرة الذاتية مع فن القصة القــصيرة التى تلتقط اللحظة الحية الممتــزجة بلحظات التأمل ، يلتحم المكان والزمان فى وحدة واحدة مــتحركة ليكتــسبا بعدا حقــيقيا بقدر إدراك الــكاتب بهما وتوحده معهما ومع الأشخاص والأشياء . يتم التوحد خلال لحيظات العمر ويصبح العمر حــياوات تكونها لحظات من الحقيقة الممــتزجة بالحلم وتصبح نقطة الوصول أو النهاية خــارج كل القواعد الهندسية المعروفة فــالبداية غير

محددة تسـبقها بدايات ومحطات أخـرى غير مرئيـة ، والنهاية أبعد من أن ندركها بالبصـر ، فالأمر ليس خطا مستقيمـا تحكمه نقطة بداية أو نهاية أو قيام ووصـول . . قد يأتى التوحد فى لحظة البـداية النسبية ، كمـا يدركها البطل ، أو الوصول ، مجرد لحظة توحد مثلما يمتزج خط الأفق الازرق أو كمـا تسبح العينان فى اللون الأخـضر . . فالوصـول مجرد نقطة هلامـية نضعها ونعيشها بإدراكنا ووعينا الخاص جدا . .

فى كتـابه يبحـر جمال الغـيطانى إلى الداخل ، يستـدعى من الذاكرة لحظات عمر متـفرقة متناثرة ، لا يربط بينهما سـوى إرتباطها بعربات قطار متنوعة الأشكال والأحـجام وإن اختلفت مقاصدها ، مـحطات ، وقضبان حديدية ممتـدة لا يدرك البصر مـداها . . وعبر صـفحات الـكتاب تتكثف اللحيظات وتتكامل المنمنمات الدقيقة الرقـيقة لتتجلى ملامح الفكرة وبعض من الحقـيقـة وليتـوحد الكاتب مع ذاته ومع اللحظـة ويتجلى المسـتور . . فالعالم الخارجى بكل مكوناته ومحـسوساته لا وجود له إلا من خلال رؤى الكاتب وإحساسه به وإمتزاجه به أو إنفصاله عنه . . من هنا فإن الحدث أو الذكـريات التى يوردها الكاتب لا يمـكن أن تقع تحت بند تصنيف السـيـرة الذاتية ولا يمكن اعـتبارها لمحات أو مـجرد مذكرات أو حتى وصـفا لواقع اجتماعى فى فترة تاريخة . . فـالحدث الذى يطرحه الكاتب يكتسب أهميته من إستـيعـاب الكاتب له وترجمـته له من منظوره الخـاص . . ولعل هذا المفهـوم نفسه هو مـا قد طرحه الكاتب الكبـير توفيق الحكيم فى «يومـيات

نائب فى الإرياف» والذى لربما غفل الكثيرون منا عن إدراكه فى خضم تلاحق الانفاس بحثا عن قاتل قمر الدولة أو مصير الحسناء ريم وحقيقة الشيخ عصفور . . إن عمل جمال الغيطانى «دنا فتدلى» الذى يكشف اللحيظات وينتقى الحدث ويترجمه ، يؤكد ويجلى المستور . . فالكون والموجودات تكتسب معانيها من خلال إستيعاب البشر وإدراكهم ، والوجود المادى غير حقيقى اللهم إذا ما أدركناه ، والحدث سواء أكان قد وقع فى الثلاثينيات أو الستينيات ، فى الوجه البحرى أو الصعيد أن بلاد واق الواق ، تكراره أو أهميته ترتبط بقراءتنا له وتوحدنا به . .

وفى رحلته للبحث والتنقيب فى داخل نفسه وفى اللحظات ذاتها وحلوله بها ، يتحول الزمن لإحساس ، فيتقدم ويتأخر طبقا لإحساس الكاتب لا كما ترسمه عقارب الساعة ، ويتحرك فى كل الإتجاهات وتتداخل معه المرئيات والذكريات ، والأشياء وتكتسب أبعادها النسبية مثل عربات الدرجة الثالثة فى القطار التى تغير مواضعها طبعا لرحلة الذهاب والعودة . .

وعبر المحطات وبين العربات ولحظات إمتزاج الحلم بالحقيقة وإلتقاط اللحظات واللمحات التى تشكل كل واحدة منها قصة قصيرة مستقلة ، عبر ذلك كله تتجسد من بين السطور لمحات من حياة وشخصية الكاتب المتطلع دائما لما هو أبعد من المرئى الملحوظ أو ماهو فى متناول اليد ، والذى يصبو ويتطلع للمستحيل . . والأمر هنا لايمكن تفسيره من منطلق

فكـرة ذكوريـة أو بالتفسـيرات النسـائية المتداولة ولكنـه أبعد من ذلك ..
فالوصول يساوى محطة لا يمكن الركـون اليها والمحطات ليست المنتهى ..
انما هى مجرد معابر ..

واخيـرا فان منمنمات الغيـطانى التى تلمست لب اللحظة بلغة عـربية
قدت من صخر وامتزجت بحرارة ووضـوح لهيب شمس الصعيد وعكست
قدراً من الرقـة ورهافة الحس عند التعبـير عمـا تصبو اليه النفس وتهـفو ،
وإمتزج فـيها الإعتـراف بخيال المؤلف ولواعج نفـسه ورؤى الكاتب ، إنما
تقدم للقارئ العربى شكلا جديدا متميزا لفن البوح .

✿



# نجيب محفوظ وحوار طويل

منذ فوزه بجائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٨٨ وما تلى ذلك من ترجمات واسعة لأعماله الأدبية إلى كل لغات العالم الحية وإعادة طبع أعماله وصدورها فى طبعات شعبية ، أصبح نجيب محفوظ والأدب العربى المعاصر والوصول للعالمية حديثًا متكرراً له أهميته وقيمته ، لا فى الصحف المحلية فقط ولكن أيضًا على المستوى العالمى . وفى خضم ذلك أجرى نجيب محفوظ آلاف الحوارات وتبارت الأقلام فى تحليل خصائص أدبه ومعتقداته وأرائه السياسية ولم يخل الأمر من محاولة الزج بالكاتب الكبير فى قضايا مفتعلة والتصدى ، والهجوم أو الدفاع عنه . وهكذا وعلى مدى السنوات العشر الماضية تمكن القارئ العربى من التعرف على بعض من لمحات شخصية نجيب محفوظ وحياته أما بصورة غير مباشرة من خلال حوارات أدبية أو على لسان وبأقلام الآخرين الذين أجمعوا على إختلاف

مشاربهم وأهوائهم على أن نجيب محفوظ الشخصية والإنسان بكل عذوبته وثرائه الإنسانى الرائع لا يقل أهمية عن الكاتب والمفكر صاحب الرؤية الفلسفية المتميزة الذى إستطاع أن يغازل قلب وعقل القارئ أينما كان . .

ولقد قدم الكاتب الصحفى والناقد الاستاذ رجاء النقاش جرعة مكثفة وصورة شبه متكاملة لشخصية كاتبنا الكبير نجيب محفوظ من خلال كتابه **نجيب محفوظ - صفحات من مذكراته واضواء جديدة على ادبه وحياته** ، والذى حاول من خلال نقله لأحاديث نجيب محفوظ كما سمعها والإكتفاء بالتلخيص السريع للأسئلة التى طرحها على كاتبنا الكبير فى مقدمة كل فصل ، أن يقترب هو شخصيا وأن يقرب القارئ للعالم الإنسانى والفكرى والفنى لنجيب ، ولتتحول مجموعة الحوارات إلى شبه مذكرات شخصية و شكل من أشكال أدب الإعترافات .

فمع تقليب صفحات الكتاب تتلاشى تدريجيا من الذاكرة صورة الكاتب العالمى الذى تحاصره الأضواء والإلتزامات الإجتماعية ، التى تحرمه من ممارسة الحياة كما عرفها وأرادها لنفسه ، حتى لتكاد أن تزهق روحه - تتلاشى لمصلحة صورة الاب أو الجد المصرى الأصيل سواء كان فى حقل أو بيت متواضع أو حتى فى قصر ، والذى ما أن تتاح له فرصة الإجتماع بالأبناء أو ما أن يشاكسه أحد الأحفاد حتى يفتح سرداب الذكريات لينثر بين أيديهم كنوز أيامه وخبراته وحبات قلبه . . إن نجيب محفوظ الذى لم يتعامل مع أى من شخصياته الروائية بسطحية ولا منطلق ثنائية الخير والشر

أو الإدانة المباشرة أو غير المباشرة ، وخرج عن النمط التقليدى الفج لتحديد مفهوم الشرف والأخلاق حتى ليكاد أن يكون مستحيلاً على قارئه أن يدين أيا من شخصياته حتى ولو كانت شخصية قاتل أو بلطجى أو بوهيمى هارب من الحياة لانه يدرك ان الحياة أرحب وأكبر بكثير من أن نحصرها فى ثنائيات فجة وأن الإنسان مزيج متكامل من الخير والشر والضعف والقوة .

لهذا كله لا يجد نجيب محفوظ غضاضة فى أن يعترف ويبوح بما لم يقله كاتب عربى من قبل : أنه لا يخجل من نزواته ولا من نظريته وعلاقته بالمرأة قبل زواجه ولا من لحظات ضعفه ولا تجاربه أيًا ما كانت ، فكلها فى النهاية صنعت نجيب محفوظ . . من ناحية أخرى إستطاع الأستاذ رجاء النقاش بمجموعة أسئلته الذكية الخفية أن يستثير شهية كاتبنا الكبير ليدلى برأية فى عدد كبير من القضايا الفكرية والفنية والسياسية . ومن بينها الله والإنسان وعلاقة الرواية بالتاريخ ومدى حرية الكاتب فى التعامل مع الحدث وقضية إستخدام اللغة العامية والفصحى والمعارك الأدبية والرقابة وحرية المبدع والتيارات الفنية مثل العبث واللامعقول والرمزية والتعبيرية واللارواية . وعن علاقة الرواية بالتاريخ يقول نجيب محفوظ «إن العلاقة بين فن الرواية والتاريخ وطيدة ، فالرواية إستعراض للحياة اليومية بل مشاكلها وقضاياها وأشخاصها وهذا جزء من التاريخ لم يكتبه المؤرخون . ثم أن التاريخ عبارة عن أحداث وتفسير ورؤية واشخاص، والرواية كذلك. ثم يقول فى موضع أخر موضحا فكرته ، إن الثلاثية ليست رواية تاريخية عن ثورة ١٩١٩ وإنما هى مجرد عمل فنى تدور أحداثه فى تلك الفترة التى

جرت فيها وقائع الثـورة . ولذلك لم أتناول أحداثها بالتفصيل ، لأن هذه مهمة المؤرخ وليس الروائى.

وعبر صفحات الكتـاب ومع تداعى الذكريات نعيش من جديد قضايا عاش من أجلها أباؤنا ومـعانى توارت وراء حجب الذاكره وتتـجدد ملامح شخصيات وأحداث بهتت صورها بفعل الزمن والنسيان ، فيعود للحياة من جديد الشيخ علـى عبد الرازق وطه حسين والعقـاد وتوفيق الحكيم والمازنى وسلامة موسى وغيرهم .

وأخيراً وبغض النظر عـما قد تثيره أراء كاتبنا الكبـير لدى البعض من قبول أو رفض ، خاصـة فيما يتعلق بالقضايا السيـاسية ، إلا إنه من المؤكد أن مذكرات نجيب محفوظ وحواراته تقـدم صورة بانورامية للحياة فى مصر من خلال معايشة وتفاعل نجيب محفوظ الانسان والروائى والمفكر .

❁



# امرأة بلا سواحل وهموم المرأة

يرى بعض النقاد أن الإنسان نطق بالشعر عندما شعر بحاجته لتاكيد وجوده فى عالم غريب عليه ليواجه الطبيعة القاسية والكون بأبعاده المترامية وألغازه وأسراره .. ولعل هذه المقولة بالذات هى أول ما يتبادر للذهن مع الإنتهاء من قراءة آخر أبيات أحدث ديوان للشاعرة سعاد الصباح ، إمرأة بلا سواحل ..

ففى ديوانها الجديد يتأكد الصوت الشعرى الخاص المتمرد لكاتبة ، وإن جاءت من أعماق البيئة الشرقية التى تركت بصمتها على روحها وعلى روح كل أنثى مثلها إلا أنها قررت أن تتحدى طقوسها الجامدة ورجالها وتتمرد على عالم العادات المتحجرة ومفاهيم عصر الحريم ، التى فرضت على المرأة الخرس ومنحت الرجل حنجرتها ليعبر عنها وعن مشاعرها كما يحلو له هو أن يتصورها ..

ولعل إقتحام سعاد الصباح منذ بداياتها الأولى لهذه المنطقة المحرمة الملغومة التى حرمت العادات والتقاليد العرب على المرأة الإقتراب منها ، فحرمت عليها أن تعبر بصدق عن خوالج النفس ومشاعر الأنثى ، هو الذى دفع البعض إلى التشكيك فى قدرات الشاعرة أو على أقل تقدير إتهامها بأنها خرجت من عباءة نزار قبانى ، بداية من إستخدامها للغة وإنتهاء بالفكر والاحساس . .

ولكن ومع توالى ظهور دواوين الشاعرة وتنوع قصائدها ، وإمتزاج هموم القلب بهموم الوطن وقضاياه السياسية والإجتماعية ، وتجانس الفكر والإحساس اللذين حولا ثلاثية تحرر المرأة والرجل والوطن إلى منظومة واحدة متكاملة خفتت الأصوات المتشككة ، ولعل هذا هو ما شجع الشاعرة أن تقدم لنا هذه المرة ديوانا أكثر جرأة تعلو فيه نبرة الأنثى حتى عندما تتعرض لهموم الوطن ، فتعيش قضية الوطن الممزق الذى تخنقه سحابات الدخان الأسود بعد الإحتلال من خلال وجدان حبيبه ، تتجمل بنسمات الوطن وتتعطر بثراه ، فتجوب المرافئ محتضنة هموم الأنثى وعذابات الوطن . . ففى القصيدة السوداء تقول . .

كم غيرتنى الحرب . يا صديقى

كم غيرت طبيعتى

وغيرت أنوثتى

وبعثرت فى داخلى الأشياء

فلا الحوار ممكن

ولا الصراخ ممكن

ولا الجنون ممكن

فنحن محبوسان فى قارورة البكاء . .

وتمضى فتقول . .

لقد شوهتنى الحرب ياصديقى

والحرب كم تشوه الانسان

فهل هناك فرصة أخرى . . لكى تحبنى

وليس فى عينى إلا مطر الأحزان

يا سيدى :

ما عدت بعد الحرب . . أدرى من أنا . .

ورغم أن قصائد الديوان تخلق نسقا شعوريا واحدا يكشف دلاله القلق المفارقة الشعورية الناشئة من معايشة الواقع وإحساس الشاعرة المختلف به، ا يصل بقصائد إلى ذروتها ليؤكد غربة الشاعرة عن عالمها ويحول الشعر لى صرخة إحتجاج فهى تتمرد وتعلن بصراحة حقيقة مشاعرها ومايدور نفسها دون خوف أو مواربة لتفتح ألف جرح وتكشف السراديب المظلمة

التى تختنق فيها مشاعر النساء . فهى وإن كانت ترفض الحب المعقد المغمض العينين وعلاقة التبعية ، إلا أنها لا تخجل أن تعبر عن تمزق المرأة ما بين الحلم بعلاقة من نوع جديد وبين ما استكن فى الأعماق من أحاسيس ومشاعر ميراث ثقيل من الأفكار والمعقدات . .

تقول فى قصيدة العمر والوحش

تتسارع فى أعماقى رغبتان

رغبتى أن أكون حبيبتك

وخوفى أن أصبح سجينتك

*****

وتستطرد فتقول

تختلط فى أعماقى

مشاعر الغضب

بمشاعر الأمومة

وإحساس الأمان

بإحساس العاصفة القادمة . .

*****

ثم تمضى فتقول . .

أنالست أنثاك ياسيدى

ففتش عن امرأة ثانية

تشابة أية سجادة

فى بلاط الرشيد

أنا امرأة من فضاء بعيد

ونجم بعيد

فلا بالوعود ألين

ولا بالوعيد

ومن المؤكد أن ملامح القصيدة الحديثة من حيث وحدة القصيدة وتداخل الأبيات قد أفادت الشاعرة فى تطويع موسيقى الشعر للإيقاع النفسى وإستخدام التيمات والإستعارات لتعبر عن التجربة الشعورية بحرية وجرأة ، ولتصبح تجربتها الفنية أشبه بلحظة إعتراف وصرخة إحتجاج تطلقها نيابة عن حناجر خرساء عاشت الصمت .

❁



# عن الروح التى سرقت

عن الروح التى سرقت تدريجيا ، هو العنوان الذى اختارته الادبية سلوى بكر لمجموعتها الثالثة التى تواصل من خلالها رحلتها التى بدأتها فى مجموعتيها السابقتين - زنات فى جنازة الرئيس ومقام عطية - لتعبر بصدق عن قضايا المجتمع فى لحظة تحول وتنبش بشجاعة الجرح من خلال أبطال وبطلات لا يخضعون للنمط السلوكى المألوف ، ليصبح كل واحد منهم بكل ضعفه وقوته . وجنونه وسلوكياته الغريبة تعبيراً عما يدور فى أعماق النفس فى زمن صعب ويحاول الإنسان أن يغطيه بقشرة من التعقل أو التأقلم لمعايشة الواقع . .

وأهم مميزات سلوى بكر أنها وأن كانت تختار بطلاتها من النساء إلا أن أعمالها لا يمكن أن تخضع للتصنيف الشائع للأدب النسائى ، فبطلاتها، حياتهم ومشاكلهن أعمق من الظواهر العاطفية ، هن تعبير مجسد عن طبقة

بأسرها من الرجال والنســاء و حتى الأطفال ، بكل مشاكلها وطمـوحاتها المحبطة . .

وفى مجـموعتهـا الجديدة ترصد الكاتبـة على مدى ١٢ قصــة كل ما استلب روح وطاقـة الإنسان المصرى عبـر عقد كامل من الزمــان ، إختنق خلاله الصـوت الداخلى الذى يمثل كل القيم المعنوية الـتى تكسب الإنسان إنسانيته تحت وطأة طغيان المادة وضياع الإشباع الروحى وسيادة اللامبالاة ، فلم يبق من الإنسان سـوى واجهة خارجـية ، وراءها خواء ووحشـة أشبه بوحشة القبر بعد أن أصبح الانسان غير قادر على التواصل مع الحياة أو مع من حوله من البشر .

لقـد ربطت الكاتبة بذكـاء بين حريـق الاوبرا وبداية هذه المرحلة التى تحول خلالها الإنسان لمجرد بالوعة إستهلاكية ، تأكد فيها الشكل والفخامة وسرقت الروح ، أصـبح سجين طيـات الثياب والحـجرات المغلقـة والقيم الغـربية سـواء من الشـرق أو الغـرب والمتمـثلة فى الجـمع يبين الموكـيت واليشمك ؛ ؛

وإكتملت صـورة القبر عندما سدت منافذ الهـواء وإختفت البلكونات والزهور ليحل مكانها العطر الصناعى وطيات السـتائر التى لم تحجب فقط ضوء الشـمس ولكنها صنعت حائلا بين الناس وبعـضها ، ليتـغير مفـهوم السعادة ويصبح مجرد إمتلاك سلع وتلبـية إحتياجات لحظية وأهداف مادية أو مجرد البعد عن المشاكل . . .

فلم يبق للإنسان سـوى مساحة ضيـقة من الوجوم المتربص ، جـعلته جزيرة منعزلة من المستحيل الإقتراب منها إلا فى حدود .

ورغم أن جرعة الفكاهة التى تميزت بها المجمـوعتان السابقتان للكاتبة قد غطتها الغيوم فى هذه المجمـوعة ، إلا أن الحس الفكاهى للمؤلفة يغلبها حتى فى أقصى المواقف ، فـتظهر جرعة السـخرية اللاذعـة فى قصة أحزان السادة المضـحكة ولعب الورق . . وهى سخـرية تابعة من عـبثـية الموقف كله . .

إن مجمـوعة عندما سرقت الروح تدريجيًـا هـى رصد كامل لكل لما طرأ على الحياة فى مـصر فى الأونة الأخيرة من خلال مجـموعة صور من الحياة لا تفوح منها رائحة الصالونات وتتميز بالقوة والمبادرة التى تجعل منها صورة بمثـابة الادب التبشـيرى . . والكاتبة فى ذلك كله لا ترتدى مـسوح الكهان ولا الوعـاظ ولكنها مثل كل أدب راق تطرح الأسئلة وتتـرك الباب مفتوحا .

❁



# رحيل
# شيخ طريقة

محاولة اتصال الإنسان بالله وفهم أسرار الكون .. التجربة العلمية فى مواجهة التجربة الصوفية .. إنكار الإنسان لما لا يدخل فى دائرة الحس فى مقابل التأمل والتجرد وإتخاذ القلب كدليل للمعرفة .. الدين الحق فى مواجهة الشعوذة والخرافة .. التعصب وأسبابه ومعنى جهاد الأنبياء واستشهاد اصحاب الرسالات لتمضى الحياة وتتطور ..

قضايا ساخنة وآنية تستفز عقل القارئ طرحها الكاتب الفنان عبد الرحمن فهمى فى روايته رحيل شيخ طريقة والتى ظهرت فى وقت حرج اختلفت فيه المفاهيم وحمل فيه البعض الإسلام مالم يقله ..

فيقدم عبد الرحمن فهمى فى شكل واقعى لا يشوبه الإفتعال ولا التكلف ، جوهر البيئة وعقليتها ونفسيتها ويدرس ثلاثية الدين والعلم والخرافة، من خلال مواجهة عالم الإلكترنيات المقيم فى امريكا بعد هروبه

من قريته ورفضه لأن يخلف والده شـيخ الطريقة ، مع مريدى أبيه بإيمانهم الساذج وأشقائه بإيمانهم العاطفى أو القائم على المصلحة ، ومع ذكرياته هو شخصيا ومناقشاته ومحاوراته مع الراحل .

يضع الكاتب ، الدكـتور مهـدى بعقله المبـرمج ومشـاعره المحـسوبة الدقيقـة فى مواجهة هواء موبوء بصـرخات هستيرية لقطيع مـستسلم لفكرة كرامـات الشيخ الـتى يروج لها بائع البطاطا بدافـاع إيمانه السـاذج أو أخاه الوريث للمشـيخـة بدافع المصلحة الشخـصية ، ليطـرح فى منولوجات أو ديالوجات مركزة موحيـة وشديدة السلاسة حقيقة الأزمة ويثير قضـية كيفية الوصول للحـقيقة ، والعلم فى مـواجه الإيمان العفوى ومـحاولة الفناء فى الذات الآلهيـة . . وتدريجيًا وتحت وطأة الضغط العـاطفى للذكريات يكاد يستـسلم البطل لأفكار القطيع ويشعـر بأن إنكاره لولاية ومعجـزات أبيه ، التى يجمع عليها المريدون وأمه إنما يرجع إلى قلبه المريض وعقله السقيم . . ولكنه يكتشف فجـاة أن الجثمان الذى نسبوا إليـه المعجزات ليس إلا لرجل شـيوعى مـلحد لتـأتى لحظة التنـوير وإدراك أبعاد الخـرافـة ويصل إلى أن الوصـول للحقـيقـة طريق طويل يحـتاج الإنسـان فيـه للجمع بين العـقل والملاحظة الفاحصة والذوق والحب الخالص للتواصل مع الكون على طريقة الصوفية . . ولكنه ومع إدراكه هذا يجبن عن مواجـهة الباطل فهو ليس نبيًا ولاقديسًا وليس على إستعداد للإستشهـاد أو التضحية بما يملك أو التضحية بوقته ليناقض إيمان هنداوى النابع من قلة ثقافـته ولا للوقوف فى وجه أخية

الذى يروج للخرافة لنيل البط والأوز ولا لمواجهـة كسل أخية صلاح الذى يكتـفى بالسـخـرية رغم إدراكـه لما يحدث ولا الـتصـدى لمخـاوف الناس وإستنامتهم لخـرافة تعينهم على تحمل حياتهم ، فيـفر إلى أمريكا حيث لن يشـغل نفسـه بالمشكلة ولا بالشـالوث المرعب ولكنه فـى نفس اللحظة التى يهرب فيها وينكفئ على ذاته على المستوى المادى والمعنوى تفر منه مصر .

هكذا يقـدم لنا الكاتب بما له من باع طويـل فى الكتابة القـصـصيـة والدراما الاذاعية والسيناريـوهات السينمائية مجموعة من القضـايا الفلسفية التى مازالت الشـغل الشاغل للانسـان، وذلك فى أسلوب شديد السـلاسة موح ومن خلال مجموعـة من الشخصيات الحية التى نعيشهـا نتفاعل معها لتكتشف مع آخر سطور الرواية جوهر أزمتنا .

❁

## ٣٥

# من قتل «فخر الدين» ؟

من وراء أمواج المحيط الصاخبة وعبر أربع قارات جاءت أوراقه لترسم أمام عيوننا علامة إستفهام كبيرة حول الكتاب وعمله الروائى الأول وبطله فخر الدين والأهم من ذلك قاتليه . . ومن قتل فخر الدين ؟؛ بل من هو فخر الدين . . هل هو شخصية حقيقية إلتحمت حياته بصوره ما بحياة الكاتب أم أنه مزيج من عدة شخصيات أم مجرد رمز لكل صاحب رسالة . .

علامات إستفهام كثيرة يثيرها العمل الأول للكاتب عز الدين شكرى والذى إختار له عنوان **مقتل فخر الدين** - فقد بدأ الكاتب روايته فى مصر وظلت سطورها ناقصة ، فلم تكتمل إلا بعد الرحيل لقارة أخرى وعالم مختلف ، ومع ذلك حمل كل سطر منها رائحة تراب مصر وأنفاس أهلها . . لم يذب الكاتب فى الحضارة الجديدة مثله فى ذلك مثل كثير من الأدباء الذين هاجرو من قبل وأفرغوا الحنين فى كتابتهم فكان الوطن الأم

والأصدقاء والتجارب الحياتيــة البطل الرئيسى فى معظم أعمالهم . . ولعل الملمح الواضح فى الرواية ، الذى إستـفاده الكاتب من رحلة مهـجره جرأة إستخدام اللفظ والإحالة للرمـوز الدينية دون خوف أو تردد وعدم الخضوع لتـقاليـد القص الروائى من حيث التـسلسل المنطقى للأحـداث أو الوصف المباشر للشـخصية . فيقـدم المؤلف عز الدين شكرى بطله من خلال أوراق وخطابات وأقاويل تسـرد الأحداث دون التقيد بالزمـان والمكان ومن خلال الإنطباعات عن الشخصية . والسرد فى الـرواية يتبع خطا متعرجا يتردد ما بين الماضى البعيد والحـاضر والمستقبل لإبراز المعنى الكامن للحـدث وطبيعة الشخصية.

• إن الأوراق التى جمـعها المحـقق عمر فارس حـول مقتل فـخر الدين تتناقض أحـداثها وتواريخـها وخـاتمة حيـاة بطلها . الذى يحـمل فى كل الأحوال إسم فخر الدين ، لتـحدث نوعًا من الخلط فى ذهن القارئ لأول مرة وتدفـعه للتسـاؤل عما اذا كـانت كل هذه الأحداث تعبـر عن شخص واحد أم عدة أشخاص . . متى إختفى فخر الدين ؟؛ هل كان ذلك عندما رفض أن يشارك عمه فى صفقة زواجه من إبنته التى تحب شخصًا أخر ، أم عندمـا إكتـشف خـيانه رفـقـة الجهـاد فى المعتـقل وزيف أحـاديث تجـار الشعارات، أم عندمـا تحولت عنه الحبيبـة مرة بسبب وقيعة الأصـدقاء ومرة بسـبب الظروف الإقتـصادية وإيمانه بأن واجب المحـامى أن يدافع عن الحق حتى لو كان ذلـك على حساب موكله ، أم يوم رفض المشـاركة فى حرب لايدرك معناها ؟؟ . .

أيا كانت الخاتمة لتلك الحياة الحافلة فقد ضاع فخر الدين فى كل الأحوال لإيمانه بمبدأ الفاعل فى كل الاحوال هو الاخر الذى لايستطع أن يمتد ببصره ليخترق سجن الفكر السائد والقيم المزيفة وقائمة اللوائح والممنوعات التى تأبى روح فخر الدين المنطلقة أن تستلم لها . .

على مستوى آخر ، من خلال الأسماء وتشابه الحدث والفعل مع الرمز الدينى مثل نشأة الراعى اليتيم وكفالة العم وتكراره ظهور مقاطع فيلم صلاح الدين شخصية عيسى « العوام وتداخلها مع واقع البطل الذى يرصده الكاتب من خلال إنطباعات الآخرين تتضح أبعاد الشخصية على المستوى النفسى والمادى وتبرز دوافعها وإنفعالاتها . من خلال هذا كله يدرك القارئ أن فخر الدين شخصية واحدة ممتدة تمثل كل صاحب رسالة يؤمن بحرية الروح وإنطلاقها ويحاول كشف الحجب ومحو الطلاء ليكتشف وجه الإنسانية الحقيقى . هكذا طرح عز الدين شكرى فى روايته الأولى الفكر والإحساس وقدم مزيجًا من الرواية الإجتماعية والنفسية التى تصور حقبة مهمة فى تاريخنا حيث كانت بداية لمرحلة التحول على المستوى الجمعى والفردى ، فقدم لنا شهادة جرئية ودامغة من أحد أبناء جيل السبعينات وإعلانًا لميلاد كاتب .

❁

# ٣٦
# النساء يغسلن أوراق الشجر

رغم أن الفكرة السائدة أن المرأة أكثر قدرة من الرجل على التعبير عن مشاعرها ، بل وفى إبتكار طرق عديدة لإظهارها - كالندب او الزغرودة مثلا - الا أن الحقيقة التى تعرفها كل النساء ، حتى ولو لم يصرحن بها أن هناك منطقة ما لا يجب الإقتراب منها أو كشفها .. فهى قدس الاقداس الذى لا يجب أن ينتهك سره .. وأعنى بها العالم الداخلى للأنثى ، بكل أحلامها وعذاباتها وأشواقها وإنتصارها الدائم لا للرجل فحسب ، بل للحياة ككل .. ورغم كثرة المحاذير وإجحاف الواقع وثقل وطأته التى حولت المشاعر والحلم إلى ترف أو ما يشبه أحلام المراهقة السخيفة ، إقتحمت عليه سيف النصر هذا العالم السرى بكل جرأة فى مجموعتها القصصية الأولى السير داخل المربعات ، ثم فى مجموعتها الثانية النساء يغسلن أوراق الشجر ، لتغزل بطلاتها فى رقة متناهية نسيجًا

هفهافا خـيوطه أشواق لانهائية وأحلام سـحقها الواقع ، تاركة صـاحباتها مشدودات فى الهواء بخـيوط غير مرئية بعد أن فـقدن القدرة على التحليق للوصول للحلم أو الهبوط والإلتصاق بالأرض . . فتصور الكاتبة العالم من خلال منولوجات داخلية لنساء ينسحب ماء الحياة من عروقهن عطشا للحب أو مللا من واقع أو شوقًا لحبيب غائب أو لحلم لا يتحقق ابدًا .

والملاحظ أن بطلات المجـموعـة الأولى المتحـديات الرافضـات لواقع يمسخ حقيقـتهن ويزيف مشاعرهن ، اللاتى يجاهرن بـذلك حتى لو شعرن أن ظهـورهن عاريات ، قـد أصبـهن الوهن فى المجمـوعة الثـانية فـآثرن الإنسحاب داخل ذواتهن - وإن ظل الصراع ناشـبًا فى الأعماق - ليعـانين مـن الإحســاس بالملل وعـبـثيـة كل شئ فـيـقابلن الحـيـاة بوجـوه باردة وأحاسيس متبلدة . .

فعندما تقرر بطلة قصة سنصنع كعكة - فى المجموعة الأولى أن تهجر فوضى الكـتب وإن تحول القلم والورقة إلـى مجرد أداة بكمـاء نفعـية وأن تخمد الأصوات التى تتردد فـى أعماقها بحثًا عن حياة مـرسومة بعيدة عن الإحتمالات والهزات طبقًا للقـواعد المسبقة وأن تكون البداية بكعكة إتبعت طريقة صنعها بدقة ، تكتشف أنها صنعت كعكة من صخر . . .

ولعل المقـابل لهذا الموقف فى المجـموعة الثـانية قـصة النساء يـغسلن اوراق الشجـر . . فالبطلة تدرك أن عليهـا أن تخرج للشرفة لتـرى الطيور التى تتنقل بخفة بين الأسطح ولتزيل ذرات التراب كى تظهر خضرة ونضرة

اللبلابة ، لكنهـا وبعد أن غرقت هى نفسـها تحت أكوام التـراب والمخاوف والإستسلام المتـبلد لأمان كاذب تؤثر أن تهجر الشرفة المفتـوحة على الحياة تاركة ذرات التـراب على الشجـرة مكتفـية بإخفـاء يدها فى جيـوب ثوبها والتسحب إلى داخل الممر الطويل الذى نسج على سقـفه العنكبوت خيوط عشة فى أمان ؛ ؛

ومع ذلك ورغم الإستسـلام الظاهرى والسطح الساكن يظل الحلم فى نفس بطلات عليه سيف النصر كجذوة جمر تحرقهن ويظل الصراع محتدمًا بين الحلم والواقع . . بين الظاهر والباطن ، لا تحسمه الكاتبة فتترك بطلاتها الواحـدة تلو الاخرى بعـد أن فقـدن الإتصال بيـنهن وبين العالم وإبتـعلن صراخاتهن وإكتفين بإجترار الحلم .

❁



# المسافة بين غربة الجسد .. واغتراب الروح

أيهما أفضل تعاسة الإدراك أم سعادة الغفلة والبلاهة ؟؛ ما هى الغربة أهى غربة الجسد أم الروح ؟؛ كيف يستطيع المرء أن يقاوم كل الأثقال والأدران التى تثقل روحه ، وتلتف حوله لتجذبه للقاع ؟؛ وهل التطلع الدائم للأفق البعيد فى تلك اللحظة بالذات ليس إلا من قبيل التعلق بسراب؟؟

كثير من المعانى والتساؤلات تتداعى للمخيلة مع الإنتقال من صفحة لأخرى مع د. عمرو عبد السميع فى روايته الجديدة «النسوان» ، حيث يرسم بخطوط كاريكاتيرية كوميديا سوداء يسطر فيها صفحة من هذا الزمان . .

تأتى الرواية الثانية التى رسم د. عمرو عبد السميع شخوصها وأحداثها فى غربته الجسدية عن الوطن لتؤكد نفس المعنى الذى حملته

روايتــه الأولى «الأشرار» ، والتى لم تخـتلف ظروف كتـابتهـا عن الرواية الثـانية ولتـثيـر نفس التسـاؤل هل من المحتم أن يخطو المرء خطـوة خارج الإطار ليرى الصـورة أوضح ؟؛ هل الخروج يساوى إنطلاقة القلم حـبيس الرقيب الداخلى الذى يحرم الكاتب حـرية التعبير المباشـر عن الفكرة مهما كان يؤمـن بها ومحـاولة اللف والدوران حولـها لتوصـيلها فى قطـعة من البونبون مغلفة ، تحسبًا لآلاف المحاذير وعوامل الشياكة الاجتماعية وقواعد اللياقة ؟؛

إن روايتى د. عمر عـبد السميع لم تاتيا بجـديد لم يعبر عنه الكاتب من قبل سواء فى تعليـقاته المفاجئة الساخـرة التى يمكن أن تصيب من تناله بالوجوم والصدمة ، فلا يدرك معناها للوهلة الأولـى أو يترجمها أن عمرو عبد السميع إنما يسخر منه هو شخصيا ؛؛؛ لم تكن الروايتان وليدتى لحظة إدراك مفاجئ . . فـإدراكه كان يقظًا دائمًا سواء فى رسـمه الكاريكاتيرية أو حواراته التى اختـرق خلالها بأسلوب ماكر صدور ووجـوه الحركة الفكرية والسياسية فى مصر ليطرح على قارئه قضايا شديدة الخطورة والحساسية مثل التطرف وموقف الأقباط والرؤى المختلفة لسنوات الحرب والسلام وتداعياتها التى شكلت تاريخ مـصر الحـديث . . كـان الإدراك والهم العام دائمـا فى الصدارة ، وإن غلفه الكاتب بالـسخرية أو الـتظاهر الباحث عن إجابة غائبة لا يستطيع الوصـول إليها بنفـسه . . بل إن الأمر كان يصل به أحـيانا لأن يلقى بعض الأسئلة التى تبدو سـاذجة ، لا لشئ إلا لكى يترك لمن يحاوره

الفرصة كى يتحدث على سجيته ، فينقل كلماته دونما تدخل أو صياغة لتتحدث عن صاحبها . . فبرغم سخرية عمرو عبد السيمع من كل شئ فإن شيئا ما فى سطوره يؤكد أنه يثق فى ذكاء قارئه وقدرته على إستشفاف الحقائق والتوصل إليها بنفسه . .

إن الجديد الذى حملته لنا روايتا عمرو عبد السميع هو الوضوح والتخلى عن قواعد لعبة الحوار الصحفى ، فعبر صفحاتهما يسمى الأشياء بمسمياتها الحقيقية . . لقد أتاح مجال الرواية لعمرو عبد السميع أن يترك نفسه على سجيتها ليكشف ويعرى بؤر العطن والزيف التى ولدت قبحا ورائحة عفنة أفسدت حياة جيل بأكمله وتهدد بظهور آخر أشبه بنبات اللبلاب المتسلق . . بلا جذور . . ولا حلم . .

فى روايته الأولى كشف عمرو عبد السميع العالم الخفى لكواليس الصحافة والفن والسياسة بنماذجه المشوهة الإنتهازية التى تلعب على كل الحبال ، وفى كل العصور ، وتزيف وعى البشر وفى عمله الثانى «النسوان» يتسع الإطار أكثر ليرسم ملامح وطن كاد أن يتحول لمجرد كلمة مبتذلة على شفاه الأفاقين وكلمة خاوية من أى معنى أو دلالة أو إحساس على شفاة المغيبين . . يرسم عمرو عبد السميع من خلال بطله مسعد - رجل كل العصور - ونسوانه الثلاث ، واللاتى هربن فى زمن ما من واقع إجتماعى ممض لأحضان التنظيمات الطليعية ، بحثا عن حلم سحقته السنون ، وحقائق الحياة ووطأة الظروف والتغيرات المتلاحقة التى مرت

بالمجتمع دون منطق أو فرصة للإستيعاب ليتحولن لكائنات شائهة فاقدة للهوية ، تبحث عن دور . . أى دور . . وفى محاولاتهم هذه تقطع كل واحدة منهن صلتها بماضيها وأفكارها وتتأهب لتتلقى أى بذرة ولو كانت عفنة ، أملا فى خصوبة مستحيلة ونبتة خضراء لن تولد قط .

يدرك مسعد رجل كل العصور مجريات الأمور وإنتهاء عصر العزلة فيمارس هوايته القديمة ويتعلق بشعارات العولمة وحقوق الانسان وحرية المرأة، بحثا عن دور جديد وتمويل لايهم إن كانت مصادره جمعيات مشبوهة ، أو على أقل تقدير محدودة الرؤية ، ترفض تقبل الآخر أو رؤيته على حقيقته رغم كل دعاوى العولمة ، أو التحالف مع تجار المخدرات والسلاح أو الشيطان نفسه . وفى سعيه لتحقيق هدفة يستعين بثلاث من عضوات التنظيم الثورى السابق ويمد عصاه السحرية لا ليغسل عن وجوههن وأجسامهن آثار الزمن فقط ، ولكن أيضًا أفكارهن ليحولهن جميعا إلى عرائس ماريونت يحركها للحصول على المال أولا ثم السلطة . . وعلى طول الطريق يلتقط أو تنجذب إليه نماذج شائهة تفرض سطوتها على المجتمع ، إما من خلال المال أو الكلمة أو تغيب الوعى بفن ضابط لينتشر ويتشعب اللبلاب أوحزب اللباليب ليخنق كل نبتة خضراء .

ومن خلال الحدث وفى بناء روائى لا يغيب عنه ظل د. عمرو عبد السميع لحظة واحدة يطرح الكاتب خبرته المستقاة من عمله الصحفى رؤيته للحياة والأشخاص والمنظمات والسلطات المختلفة ، ويرسم صورة حية

للندن بأوساطها الراقيــة والطبقات الجديدة فى مصر فى مقــابل صورة الحياة فى الأحياء الفقيرة فى مصر وتطلعات سكانها الحقيقية . . قدعاوى المساواة وحقوق المرأة ينادى بها مسعــود وأشباهه تنزلق دون أن تترك أثرا ولا محل لها من الإعراب لدى نساء تطحنهن الحياة اليومية ولقمة العيش . . . والقهر غذاء يومى للرجــال والنسـاء والأطفال وحتى القطط . والمشـــوهون يقفزون للمقدمة لا لشئ إلا لأن القــوى الصانعة لحركة المجتــمع إنشغلت بخلافات ومشــاحنات لا معنى لها ونســيت فى خضم هذا كله هدفــها الحقــيقى . . لترفع شــعار «مســتعد أن أدفع حــياتى ثمنا لحرمــانك من حرية رأيك» . . الجميع مغيبــون ، فى سطله . . حتى المخبر الذى يطل علينا من أول سطر فى الرواية لآخـــرها وهو يردد فى بلاهــة «مين ده . . هه . . مين ده . .» واللباليب (وهو الاسم الذى إختــاره الكاتب لجمعية مــسعود بوعى وإدراك كامل) أو بمعنى أصح نباتات اللبلاب تستشرى وتمتــد لتزيف الحياة وتفرغها من معناها . .

إن الفكاهة التى تتــولد من خلال المفارقــة وتعليقات الكاتب الســاخرة سخرية مريرة أشبــه بصرخة إستغاثة يطلقها كــاتب مازال رغم غربة الجسد التى فرضــها عليــه عمله يحلم بالخــلاص من غربة الروح ، يحلم بــكلمة الوطن بكل ما تحمله من دلالة ، وما تبعثه فى النفس من رجفة وحنين .

✿



# أغنية للبحر ومفهوم جديد للأدب النسائى

البحـر فى مقابل الأرض . . الميـلاد من رحم الموت . . الأمل الجنين الكامن فى ظلمه اليـأس . الحركة فى مقـابل السكون المنتظر بلا نهاية ولا أمل . . مجموعة من الثنائيات الواضحـة تمامًا التى تسرى فى نسيج أعمال الكاتبة فـوزية مهران ، والتى حـولتها وإن إختلفت أشـكالها وتوصيفـاتها الأدبية إلى قصة طويلة ممتدة صاخبة النبض ، بطلها الإنسان والنفس الحائرة التى تتقـاذفها الأمواج بحثـا عن اليقين وعن معنى الحيـاة . . عن الإنسان المشدود العينين إلى أفق غامض ، الباحث عن الحياة فى أبسط أشكالها من خلال قـاموس للبحـر وحكمة للأرض وتراث مـن الحكمة ترسب طبـقات فوق طبقات ليسرى مـع الدم فـى العروق وينثرها كاللآلئ - دونما الوعى- أحفاد حكماء العـهد القديم بعد ان تحولوا لبشر تصـافحنا وجوههم فى كل يوم وفى مكان . . سطر بعد سطر نستشف الحـياة من كلمات بحار لا يهدأ

وإمرأة تشكل حاجز أمواج وتتحـول بصبرها لماص للصدمات ، وأم تترقب لحظة ميلاد وخبـاز أقيم له مقام لأنه قد خبز للناس وندابة هجـرت مهنتها لصنع الخبز .

ومـن هـنا ، ولأن عـالـم فـوزيـة مـهـران أوسع وأرحب من أية جـدران ولأنه عـالم بطله الإنسان ، فـقد نجت أعمـال فوزية مـهران من الوقوع فـى دائرة التـوصيف الضيق للأدب النسـائى، الذى حصر كـتابات المرأة فى مجـرد سكب مشـاعرها الأنثـوية وتجربتـها الذاتيـة المحدودة على الورق . . .

وفى مجموعتها - اغنيـة للبحر - تخطو فوزية مهران خطوة جديدة ، إذ تسطر من خلال مـفرداتها وأفكارها مـفهومًا جـديدًا للأدب النسائى . . فتتخلـص المرأة على يد فوزية مهران من برفانات الصالونات وهـموم الحياة اليومية الروتيـنية ومشاكل الأزواج والأبناء ، لتتحول إلى إنسـان له كينونته الخاصة الثرية . . فالمرأة هى الشـجرة وهى الأم والوطن ، والأمومة ليست مجرد لحظة ميلاد . . فالمرأة فى مجمـوعة أغنية للبحر تكتسب من مفردات العالم من حولهـا نكهة أنثوية إنسانية ، فـتخرج من أسر التجربة العـاطفية الفردية ، تهفو إلى البحر ، ذلك المعبـود والعشق القديم . . تهفو لإجتياز الإمتحان العسير والمياه الخطرة ، بحثًا عن الحقيقة وعن التوحد مع الحياة. . المرأة عند فـوزية مهران لم تعـد تكتفى بلـحظة الميلاد ومنح الحـياة والذود عنها. . لم تعـد مجرد حاجز أمـواج فهى تثور على نفسهـا فى - مجنونة

وحاجز الأمواج - وتتوق لأن تتخلص من إنتظارها خلف نوافذ من زجاج أو أبواب أو على شاطئ مهجور . .

المرأة الإنسان عند فوزية مهران تمزقها الرغبة فى الإنطلاق وإنتظارها الدائم لفارس رحل وتركها على الشاطئ ترقب الأفق فى إنتظار ميلاد جديد.

وعلى لسان المرأة الإنسان تكتسب المفردات معنى جديدة ، فتتحول لحظات الصدق والمحبة إلى صلاة وخشوع وتتحول الأمومة إلى أرض ووطن وصموه ويصبح النكوص مرادفا للحياة بإستكانة مثل جرذان الميناء ويتحول الهروب إلى صخور وأحجار بلا ماء ، والأمل إلى كل كائن رقيق لا يزدهر إلا من خلال الجماعة ، وقدح الشاى بين غابة النباتات الخضراء إلى مشروب للصداقة ، ويصبح لا مكان للأرض على خريطة الإنسان إلا يوم تنتهى الرحلة ليعود الإنسان ليقدم الحساب للأحباب وللوطن وللطير وللسماء . . بعدها يتوسد التراب . . .

وإذا كانت أزعم أن مجموعة أغنية للبحر تقدم مفهوما جديدا لما يمكن أن نطلق عليه الأدب النسائى ، حيث تطل صورة المرأة الانسان - بعد ان تخلصت من أقنعتها وإصباغها وميراثها الثقيل من الأفكار والمعتقدات - بشكل واضح من بين سطور الكتاب ويؤكدها ضمير المتكلم . - وإن كانت الكاتبة لا تشغل نفسها بكتابة القصة فى الإطار السردى النمطى -، إلا أن المجموعة لا تنفصل عن سياق الاعمال السابقة للكاتبة التى عبرت

فى مجـموعهـا عن الحلم الإنسانى الأزلى ومـحاولة تحريك الميـاه الساكنة لتنطلق روحًا جديدة كالمد .

إن فوزية مهران فى مـجموعتها تقـدم ترنيمة صوفية مـزجت فيها بين شهـادتها ولحظاتها النادرة ورؤيتـها لزمن يجهض فـيه الرجال ويشيخ فـيه الأطفال قبل أن يولـدوا وتموت فيه النسـاء وإن ظللن واقفـات على الشاطئ كشواهد قبور منسية ، بعد أن جبنوا جميعًا أن يتقدموا نحو البحر .

❁

## ٣٩ لحن الصباح
## حرافيش محمد ناجى

فى روايته لحن الصباح يمزج محمد ناجى عـالم المهمشين بالأسطورة والحلم ، فتمـتزج الهموم اليـومية بالأسطورة والحكايات الشفـاهية والقص المكتوب فى أسلوب سردى مـتعدد المستويـات متعدد الضمـائر ، تتنوع فيه الأزمنة ويختلط فيـه الماضى بالحاضر ، ليكتسب الواقع أبعادًا أعـمق وأكثر تعقيدًا .

ورغم أن زمن الرواية يوم واحـد فقط إلا أن فصـول الرواية القصـيرة اللاهثة تعتـبر تلخيصًا لدورة الزمن الأبـدية .. فأحداث الرواية تدور على مستويين ، المستـوي الواقعى وتشغله الشخصيات الأسـاسية (عباس ونوفل والحاجة ويصا صاحبة السوبر ماركت) ومستوى الرؤى والأحلام والهلاوس والأسـاطيـر والقـصص الدينى .. ومـن خلال هـذا المزيج الرائع يصـوغ الكاتب عالمًا يموج بالأحـاسيس المتناقـضة والرؤى الغامضـة والشخصـيات

المتقابلة فتتلاشى الفواصل بين حكايات وأساطير الراوى وبين الواقع الذى تعايشه الشخصيات ويصبح حضور الشخصيات الثانوية الغائبة على أرض الواقع حضوراً موثراً ، بل وضرورة لإستكشاف الحدث وحل طلاسمه الخفية . وفهم أبعاده الفلسفية .

تبدأ أحداث الرواية بالمشاجرة اليومية بين عباس الأكتع بائع السبح والأحجبة الذى فقد ساقيه وشوهت يده فى حرب ٧٣ وبين نوفل الخطاط الذى أضطر أن يهجر مهنتها ويبيع السبح والأحجبة بعد أن أصابت يديه رعشة ، والذى يرفض مغادرة مكانه الذى يرى منه اللافتات التى كتبها فى الزمن الغابر . وتنتهى الرواية فى صباح اليوم التالى بنفس المشهد مع إختلاف وحيد هو أن نبؤة الحاجة ويصا قد تحققت ولكن القتيل كان نوفل، لا عباس . . وما بين الحدثين يعيش القارىء عالم عباس الأكتع الممتلىء بالحياة ، الذى يحلم بتغير الواقع رغم أنه حبيس مقعده المتحرك وأمنيته المستحيلة بالحلول فى جسد نوفل السليم . وفى المقابل يعايش القارىء لحظات خمود روح نوفل وخوفه وإحساسه بالخوف والخذلان ، والبحث عن الطمأنينة فى عالم الأضرحة والحكايات . . ورغم أن المنطق الواقعى للأحداث وعجز عباس الجسمانى الواضح كان لابد وأن يقود لنهاية مختلفة، إلا أن رغبة نوفل فى الموت وإحساسه أنه الخلاص الوحيد ، قلب الموازين وحول القتيل المتوقع إلى قاتل والقاتل إلى ضحية . لقد أراد نوفل أن يقتله عباس بعد أن أدركت الرعشة روحه . فى حين ظل عباس من

فوق مقعده يدور فى الشوارع ويحارب الكلاب ويحلم وتتوازى فى عقله راحة يده التى فقدها فى الحرب بسبب الخيانة وراحة يد الأمير فرغلى التى قطعها بعد خيانة الجارية . وتتوازى الشخصيتين وتتضح أبعاد معاناة كليهما وتتقاطع مع أسطورة الأمير فرغلى والقاضى ياقوت وإيحاءات القصص الدينى فى بناء مركب من الصور مكثفة .

ومع إغلاق غلاف الكتاب لا يغلق الكاتب باب التساؤلات ولا علامات الإستفهام التى أثارها فى نفس قارئه ولا دلالة موت نوفل .. فهل كان الموت إختياره الذى سعى إليه أم التجسيد الواقعى لحالة الخمول النفسى وإنسحاب الروح أم أنه مجرد قدر !!

❁

## ٤٠ العين السحرية

من أهم الظواهر التى شـهـدتهـا الحيـاة الأدبيـة على مـدى السنوات الأخيـرة إزدهار فن القصة القصـيرة وظهور أجيـال جديدة من الكتاب من الجنسين ومن مراحل عـمرية مخـتلفة فضلت هذا الشكل الأدبى وإخـتارته للتعبـير عما يحول داخل النفس البـشرية أو على أرض الواقع من أحداث ومتغـيرات إجتماعـية وثقافية وإقـتصادية وسياسيـة وإنعكاسات ذلك على البشر .

ومن الملاحظ أن الكاتبـات كان لهن نصـيب الأسد فـى المجمـوعات القصصية التى ظهرت على مدى السنوات الأخيرة وأن أصواتهن عبرت عن إتجاهين محددين .

فالبـعض منهن إخترن أن يعـبرن عن مشـاعر المرأة الشرقـية فى لحظة التحول وأن يركـزن على المسكوت عنه فى علاقة المرأة بجسدها ومـشاعرها بصورة تكون قد سببت نوعا من الصدمة للبعض ، بينما إعـتبرها البعض نوعا من الكـتابة بالجسـد . . وإخـتارت مـجموعـة أخـرى التـخلى عـن منطق التمييـز النوعى وفكرة الكتابة النسوية والتعبير عن قـضايا وأحاسيس

المرأة مفضلات التحليق فى عالم أرحب ، يتعامل مع قضايا الإنسان والمجتمع ..

ومن بين الكاتبات اللاتى إخترن الشكل الثانى الكاتبة منال القاضى التى صدرت مجموعتها القصصية الثانية تحت عنوان العين السحرية . والحقيقة أن المجموعة الثانية للكاتبة أكثر نضجًا وإحكامًا من مجموعتها الأولى ، يحدث أحيانًا ، حيث تتجلى فيها نظرة الكاتبة للواقع ورصدها للظلم ومحاولتها رده إلى مصادره ، كما فى قصة «السيدون» ، وتقديمها لنوع من التشاؤم المستبصر فى قصة «ليس هذا الرصيف بالذات» لتؤكد أن الحياة كما نتمناها مستحيلة.

والمجموعة تمتاز بإحكام الأدوات وإتضاح الرؤية والقدرة على الغوص فى عمق التجارب البشرية ، فالعنوان العين السحرية يمكن أن يعمم على كل قصص المجموعة ، ذلك أن الكاتبة تنظر إلى العالم بعين سحرية تأخذ مشاهد متعددة من حياة البشر لتصنع خيطًا يشكل البنية الأساسية للقصة ، والحقيقة إن هذه اللقطات لاتركز على ظاهر الأشياء ، إذ أن الكاتبة التى تعمل بالطب النفسى تستشف من وراء الظواهر عمق العالم الخارجى وبالتحديد البعد السيكولوجى .

ويلاحظ أن الكاتبة تهتم بعالم المهمشين دون تعاطف رومانسى ، ذلك أن شخصيات الأعمال القصصية من البشر الحقيقيين الذين إمتلكوا مناطق القوة ويعيشون لحظات الصعف .

أن الكابتة منال القاضى تعد صوتا مميزا مغـايرا لجيل كتاب التسعينيات اللاتى ركزن على الجسـد والذات وهى فى ذلك لا تركز على لحظة واحدة بل تتجول فى مشهـد مفتوح فى لحظات متعددة . . وأخيرا فـإن مجموعة منال القاضى التى تعـد إمتداداً لتيار واع للكاتبـات من أمثال : سلوى بكر ونعمات البحيرى وغيرهما من الكاتبات اللاتى رفضن الإنكفاء على الذات النسوية ، قـد تكون بشيـرا ببداية مـرحلة جديدة فى فن القصـة القصـيرة أبطالها من الكتـاب والكاتبات الذين يقدمون فنـا جديدا متميـزا من حيث الشكل والمضمون .

❁

# ٤١ أرض الضياع

تعتبر قصيدة «ارض الضياع» علامة بارزة ومنعطفًا تاريخيًا فى مسار الشعر الإنجليزى والشعر العالمى عمومًا ، إذ وضعت حدًا لشعر الرومانسية الهوجاء وفتحت الباب لشعر العاطفة الناضجة والعقل والفكر .

وبين يدى القارئ العربى اليوم ترجمة جديدة ودقيقة للقصيدة قدمها الناقد الفنان د. نبيل راغب . والكتاب يضم مقدمة ثرية وافية لشرح القصيدة وتحليلها مما يجعله أول مرجع عربى متكامل لفهم القصيدة وتذوقها . وبالرغم من بساطة اللغة الشعرية والسلاسة التى تدفقت بها الأبيات فإن الإقتباسات والرموز والإشارات والإيحاءات والصور التى ضمنها ت . س اليوت للقصيدة ، التى تكاد تحوى تاريخ البشرية كله بأساطيره وحقائقه ووقائعه ، تشكل عبئا على التذوق الكامل للقصيدة . من هنا كانت قيمة الهوامش التحليلة والتفسيرية التى حرص المترجم على أن يلحقها بالترجمة .

من ناحية أخرى فلقد قدم د. نبيل راغب مقدمة وافية للقصيدة شرح

فيهـا منهج ت . س . إليوت ونظرته للشعـر عمومًا فالشـاعر لم يلزم فى أرض الضياع برجـه العاجى ليستوحى إلهام ربات الشـعر ، بل شق طريقه وسط مظاهر الحطام والخراب والضـياع التى أفرزتهـا الحضارة الحـديثة التى تحمل داخلها بذور فنائها برغم رونقها الظاهرى .

لم يكن الشعر عند إليوت مـجرد تعبير عن الإنفعالات الشـخصية أو شعارات طنانة أو قوالب لغوية ، بل نظرة ثاقبـة إلى جوهر الحياة فى عصر من العصور وبالتالى فقد نأى اليوت عن عالم التراجيديات القديمة بصرخاته لطماته وكوارثه الدامـيـة ليكشف عالم الحياة اليومية المعـاصرة وكانت رؤيته الشعرية رؤية روحـية دينية متشـائمة تؤمن بعبث الحضارة المعـاصرة وفشل الإنسانـية . ولقد تـأثر بتلك الرؤية شعـراءكثـيرون وإن حاول الـبعض أن يصبغها برؤية متفائلة مؤمنة بالإنسان والتطور .

ويستمـر د. راغب فى تحليله ليضع يده على أحد الخيـوط التى ميزت هذه القصيدة فيقول إن ت . س .إليوت قد ربط بين قصيدته وبين الموروث الشعرى العالمى من خلال الاقتباسات المتنوعـة التى أوردها فيها واستخدمها بحيث دبت فيـها الحياة ليصـبح التراث الشعرى العالمى تواثا حـيا ممتدا من الماضى إلى الحاضر .

❁

# ٤٢ الشعر ديوان العرب

الشعر ديوان العرب مقولة عربية شائعة ، إن دلت على شيء فإنما تدل على أهمية الشعر في حياة الأمة العربية ليس فقط لقيمته الفنية والوجدانية، ولكن بإعتباره وثيقة تاريخية وإجتماعية ونفسية تعكس تفاصيل الحياة والبيئة والظرف التاريخي وكل المفردات التي يتفاعل معها عقل ونفس الشاعر .

من هنا ندرك منطقية الجدل حول القصيدة التقليدية والشعر الحر والقصيدة المنثورة أو آية أشكال جديدة قد تظهر ، ومنطقية أن يستعر النقاش في العالم العربي بالذات .

والأهم من ذلك منطقية تصدى الكاتب وديع فلسطين لواقع الشعر في عالمنا العربي من خلال كتابه مختارات من الشعر المعاصر وكلام في الشعر . . الذي قدم من خلاله مجموعة متميزة من إبداع ٣٥ شاعراً من كبار الشعراء العرب المعاصرين من ١٩ جنسية مختلفة يمثلون مختلف فنون الشعر ومذاهبه ومدارسه وأغراضه ، من بينهم محمود حسن إسماعيل

وإبراهيم ناجى وبشارة الخورى وأحمد رامى ونازك الملائكة ونزار قبانى ومعين بسيسو وقدرى طوقان وعمر أبو ريشه وبدر شاكر انسياب وغيرهم .

وإذا كان وديع فلسطين قد إستطاع بعينه الثاقبة وحسه الفنى إختيار مجموعة شعرية تمثل أجمل ما أبدعه الشاعر ، وأصدق ما يعكس رؤيته ومشاعره ومواقفه من قضايا وطنه وقضايا الحياة عمومًا - حتى الفلسفية بما يمنح القارىء دفقه شعورية ذات مذاق خاص وإن تنوعت ألوانها، إلا أن الكاتب والناقد لم يترك نفسه يجرفه سحر الكلمة ولا جمال البيان ، فاختار أن ينزل بحر الشعر بعينين مفتوحتين ، ليغوص فى أعماقه ويقدم لآلئه وأسرار جماله من خلال تحليله لأعمال كل شاعر . ولا يكتفى وديع فلسطين بتقديم الشعراء ، فيصدر كتابه بدراسة قيمه يعرض فيها لبعض قضايا الشعر ومحاولات التخلص من قواعد الشعر العربى والتى بدأت من عشرينات القرن ، مثل سقوط القافية والتحرر من البحور والإكتفاء بالتفعيلة والإتجاه للشعر الحر المرسل وقصيدة النثر والشعر العامى، ويناقش كل قضية على حدى عارضًا لكافة وجهات النظر المتعلقة بالموضوع ثم يضع أمام القارىء قوله الفصل مدعمًا بالحجج وآراء الشعراء .

ويرى وديع فلسطين إن محاولة إلغاء قواعد الشعر أشبه بمحاولة تجريد اللغة العربية من قواعدها . وأن هذه المحاولة مجرد تقليد لتراث شعرى غريب عن الوجدان العربي وبالتالى فهى محاولة قد تودى بطابع القصيدة

العربية . . ويشير الكاتب إلى رأى بعض الشعراء والكتاب الذين تبنوا فكرة التجديد مع الحفاظ على الإيقاع الداخلى للقصيدة والوحدة العضوية للأبيات مع المحافظة على الوزن والقافية دون هدم المعمار الشعرى . . ثم يعرض وديع فلسطين لأشكال الخروج عن الشكل التقليدى للشعر وحجج دعاة هذا التغيير ، الذين يرون أن الحياة تتغير وتتطور وأن القوالب الشعرية الموروثة تحد من إنطلاق الشاعر وقدرته على التجديد والتعبير عن أغراض وقضايا جديدة لم يعرفها أو يشعر بها الشاعر العربى القديم .

ويرى الكاتب أنه يجب أن نصل أولاً لتعريف محدد للشعر لتحسم القضية . فالشعر فى رأيه هو كلام موزون مقفى يعكس موسيقى ظاهرية وداخلية بما يعكس إنفعالات الشاعر ، وأن الشعر العربى شهد موجات متتالية من التجديد فى الصياغة مثل تنويع البحر والقافية دون التخلص من الإيقاع ، كما حدث خلال حركة التجديد فى الأندلس وظهور شكل الموشحات ، أو مثلما فعل العقاد والمازنى وشكرى عندما رفعوا راية التجديد من خلال ترابط الأبيات لتحقيق الوحدة العضوية للقصيدة . . ويستطرد الكاتب فيقول أنه من هذا المنطلق لا يحق لمن يكتب النثر بأسلوب شاعرى أن يطلق على نفسه لقب شاعر أو أن يسمى إبداعه شعراً، فمى زياد لم تزعم قط أنها شاعرة برغم ما تميز به أسلوبها الأدبى من شاعرية فى التعبير .

ثم يناقش الكاتب قضيــة القافية ويقول أنهــا لا يمكن أن تحد من حرية وإبداع الشاعر الحقيقى فالشعـر العمودى إتسع لكل أغراض الشعر ومذاهبه الرومانسية والواقعية والرمزية وحتى الشكل المسرحى .

وينتقـل الكاتب لقضيــة تطبيق نظـريات الشعر والنقـد الأوروبى على الشـعر العـربى ومـحـاولة تطبيق الأشـكال المستـوردة التى أدت بالبـعض للإنحراف فى تيار تحطيم اللغة من خلال الكتابة بالعامية المصرية أو اللبنانية أو الكتابة بالحروف اللاتينية ، كما فعل سعيد عقل فى كتابه يارا .

وقبل أن يختـتم وديع فلسطين دراسته ، يقدم فى لمحات سـريعة نبذة تاريخيـة عن إنتشـار إتجاه الشعـر الحر ، فيـقول إن حركـة الشعـر الجديد إزدهرت بعـد نكبـة فلسطين وكانـت صورة للهـزيمة التى كـادت أن تحطم الضميـر العربى بعد الهزيمة . فكانت الثورة على التـقاليد الشعرية تجـسيداً للقلق النفسى والشـك والحيرة والرغبـة فى التغيـير والإندفاع نحو التـحرر والإشمئزاز من الماضى والحاضر .

وإذا كان المؤلف قد تعمـد أن يقدم تلخيصًا سريعًا لأهم قـضايا الشعر قبل مختاراته الشعرية المتميـزة فقد آثار باختياره هذا مشكلة ، حيث أنه من المؤكد أن هذه الدراسة والنماذج الشعرية كفيلة بإستثارة شهية القارىء لمعرفة المزيد ، الذى لم يجده مع الأسف بين صفحات الكتاب ، فقد غابت عن صفـحات الكتاب نماذج لشعـراء محدثين وتقـييم أدق لحركة الشـعر وأهم سمـاتها فيـما بين الحـربين وما تلاها من حـيث تغيـر اللغة الكلاسـيكية

والفخـامة لتـصبح لغـة مألوفة ، والتـأرجح ما بين ألفـاظ الخطابة والنداء والإسـتغـاثة ، والأمـر والإستـفـهام عنـدما كـان الأدب أداه للمـقاومـة والتـحريض، وبين الصـور الشـعرية المتـأنية التى عـبرت عـن الإنكـسار والهروب من الـواقع والتى واكبت ظهـور الشعرب الحـر . . الأمـر الذى يجعـل كتاب كلام فى الشعر أشبه بالجزء الأول فى دراسة لن تكتمل إلا بظهور جزء ثانى، يجيب على كل تساؤلات القارىء ويعطيه أكثر من مذاق لأكثر من شاعر معاصر .

❁

## ٤٣ الإنسان وقانون الوجود

فى كل مجموعاته القصصية القصيرة وقصصه الطويلة ومسرحياته برزت بوضوح شخصية يوسف ادريس المتفردة وأسلوبه المتميز الخاص ، لقد كانت كتابات يوسف ادريس شحنة عنيفة متفجرة تنبع دائما من قاع المجتمع المصرى . . كلماته دائمًا غاضبة قاسية تصفع ، فهو ينبش فى جراح المجتمع المصرى متعمدًا أن يثير آلمه فى محاولة لأن يعيد إليه الوعى والقدرة على أن ينظر داخل نفسه . . يحاول أن يلوى عنق الإنسان . . أن يجعله يجيل النظر فيما حوله ، ويحطم القيود والموروثات التى تحد حركته ليضعه على بداية الطريق . أن القارئ المتابع لإنتاج يوسف إدريس يدرك أن القصة القصيرة تتصدر إنتاجه بلا منازع .

إن يوسف إدريس فى مجموعته القصصية أنا سلطان قانون الوجود يواجه أزمة وجود الإنسان فمن خلال إختياره لمجموعة مواقف بعناية يفجر القضية . . إن وجود الإنسان المصرى فى حالة تأزم . . يدرك القارئ هذه الحقيقة الصارخة فى كل صفحة من صفحات المجموعة ويطرح على نفسه

السـؤال . . من المسئول عما يـحدث أهو المجتـمع بما يفـرضه من قـيود وضغوط أم هو الإنسان ؟ .

ولا يترك يوسف إدريس قارئه فـريسة للحيرة طويلا فبإسلـوب مباشر قاطع يجيب على السؤال أنه يديننا نحن البشر . . ؟؟

إن القصة الأولى فى مجموعته والتى تحمل عنوان الكتاب والتى يتناول فيها حادثة واقـعية هى مصرع محمد الحلو مـدرب الوحوش بالسيرك دعوة لأن نعيد النظر لأنفسنا لنرى مـا صار إليه حالنا . . إن يوسف إدريس يقدم لنا الحادثة من خلال رؤيته الخاصة وتفـسيره الشخصى . . فلم يكن الأسـد هـو المسئول عما حدث . . بل نحن المـسئولون بالدرجة الأولى . . فعندما تحولنا جـميـعا إلى أجـساد منهكة . . عندمـا ماتت فينا الـروح . . عندما تساوى الأمل واليأس البطولة واللابطولة ، الميت والحـى ، الجبن والشجاعة الأمس والغد فلم يعـد يستثـيرنا شئ وتحـول العمل إلى مجـرد أكل عيش تحول السيرك مثل كل شئ إلى عالم طاغ ، وعندمـا فقد محمد الحلو إيمانه بجمهوره الذى تسـاوى عنده كل شئ . . كان أكل العيش هو الذى يواجه الأسد، فـصُرع الحلو ، ويعـبر يوسف ادريس عن رأية بكلمـات مبـاشرة حادة «عندما تمضى الحياة بإمتحـان لايرسب فيه احد ماذا يبقى من الإنسان ؟؟» .

وفى قصته جيوكنـدا مصرية تنساب الكلمـات رقيقة سهلـة شاعرية معبرة عن العلاقـة الرقيقة بين فتى مسلم فى الرابعة عشـرة من عمره وفتاة

مسيحية تكبره بعامين .. لم يستطع بل ولـم يحاول أن يسمى علاقته هـذه أو يرسم حدودها ، يكفيه أنها تبعث فـى نفسه سكينة فى نفسه .. والفتى كائن لم يلوث بعـد بالدهاء ولا الخداع والنفاق أو الكذب الاجتـماعى .. إنه يتعامل بفطرته السليمة ولكننا نحن الكـبار نفسده وتدفعه للكذب وعلى لسان الفتى يتساءل المؤلف ماذا كان يضير أن تستمر علاقة كهذه زهرة وديعة وسط غابات الطبائع والنفوس والعلاقات الاجتماعية ؟

أما قصته لحظة القمر .. عندما ظهر القمر مـخنوقا فى سماء القاهرة فهى لحظة صدق وتطهر .. لحظة اكتشاف النفس فى مجتمع اجتاحه الزيف فنسينا فيه القمر ، وضعنا فى اختناقاتنا اليومـية الصغيرة فتحولنا كما يقول المؤلف إلى كـرة بنج بونج مـضروبة ترقص رقـصة التـعنت والتـحلل إلى اللاشيئية .. لقد ظهر القمر للحظات لننظر للسماء ليعود الإنسان ولكنه ما لبث أن ضاع ولم يبق سوى أضواء كهربائية شاحبة فلم يعد هناك معنى لأن ننظر للسماء أو كما يقول المؤلف لم تعد هناك سماء .

وتأتى قصة حوار خاص وهى رحلة فى أعماق الكاتب ، تعرب عن خـواطره .. انهـا رحلة سـريعة من الـشك إلى الإيمان .. الإيمان بالذات الصغرى والذات العليا ، الإيمان بالاله الاصغر، الإنسان ، والإيمان بالله ، ولعل أجـمل ما سطره الكاتب عندمـا عبـر عن خواطره هذه مـا يمكن أن نسمـيه أنشودة عشق الهى .. يقـول «أيها الضارب بعيـدا فى أغوار الكون حتى ينتهى البدر وأبدًا لا ينتهى النور لأنك لا تنتهى .. الضارب بعيدا فى

أغوار الماضى وأفـاق المستقـبل حتى ينتهى الزمن ، أبـداً لا ينتهى الزمن ، لأنك أبداً لا تغيب ، أبداً لا تحضر ، أبداً لاتعرف لأنك العارف ولا تنسى لأنك الذاكرة ، لأنك كل شئ .

وبقدر رقة كلمات المؤلف فى قصته حوار خاص تتلون اللهجة وتتسم بالعنف والقسوة حتى ليشتم القـارئ رائحة الدماء فى قصته سيف يد عندما تنفجر شلالات الحقد والكراهيـة التى يكنها بطل القصة تجاه زميل له . ثم تتلون العبـارات وتكتسب نكهـة ساحرة سـهلة عندما يقـدم المؤلف صورة ساخرة للفهلوة المصرية فى قصته حكاية مصرية جداً .

وأخـيراً ، فـمن المؤكد ان د. يوسـف إدريس قد نجح فى أن يشـحن القارئ شحنة انفـعالية قوية ، فلقد قرع ناقوس الخـطر وبشدة . . لقد كان الإنسان هو محور مجموعته القصصية وجوهر قضيته فهو ، وهـــو وحده سلطان هذا الوجود .

❁

٤٤

# أطلال النهار
# دفتر أحوال العباد

«يوم الإنتصار أم يوم الإغتيال ؟» بهذه العبارة الاستفهامية ، البسيطة، بل البريئة ظاهريا ، التى جالت بخاطر صابرة عابدين - العين الراصدة لأطلال النهار - لم يرسم يوسف القعيد لقارئه فقط خريطة لقراءة عمله الجديد أو لاستنباط دلالة الكلمات والحدث ، ولكنه أيضًا آثار عاصفة من الأفكار والذكريات حول تاريخ وأيام وانتصارات ومرارات وإحباطات وطن، ثم أكدها كلها عبر صفحات العمل من خلال توظيفة للخطوط المتوازنة والمتضادة والمتقاطعة . .

ففى روايته أطلال النهار لا يتعامل يوسف القعيد مع اللحظة نفسها سواء بالنسبة للنصر أو للإغتيال ، لكنه يرصد الحدث بعد أن تغير مذاقه وتحول ، ليكثف التناقض ويصعده ليصنع التقابل بين نقطتى زمن مابعد النصر وما قبل لحظة الاغتيال . . فنقطة البداية عند يوسف القعيدة هى

المرارة والقلوب التى غطاها التراب والعيون التى تحجرت دموعها وإستسلمت لعوامل اللامبالاة والإهتمامات السخيفة والأهداف المحدودة . . يرصد الكاتب ضياع الحلم وضياع القدرة على النظر فى كل الإتجاهات ومعانقة السماء بعد أن ضاعت ساق المحارب وأصبح أسيراً لساق حديدية . .

ورغم أنه من المعروف أن يوسف القعيد يرفض الإغراق فى الرمزية ، حيث حاول على مدى ما يقرب من ثلاثين عاما أن يقدم الرواية الواقعية التى تلامس الحياة والواقع وترصد المتغيرات التى طرأت فى القرية وقاع المدينة والعموم وتفاصيل الحياة اليومية ، إلا أنه فى عمله الجديد يوظف الرمز والتضاد بأسلوب واع لا لبس فيه ولا غموض ، ليبرز التناقض ويمسك بالوميض العابر ليكشف ضمير الآخر المثقل بهم المعرفة والإدراك أو عمى القلوب والبصائر . . ففى لحظة تفترس عجلات الشاحنة الضخمة لحظة التلاقى الإنسانى ، لتبدد وهم ظمأنينة المتعوسة الهاربة من جحيم فقر القرية وخايب الرجا القادم من أعماق قاع المدينة . .

ويتكرر توظيف الرمز من خلال حادثة القصر وضياع ساق المحارب وإستبدالها بساق حديدية ، وحوارات البغبغاء ، والعينين السليمتين المحاصرتين المشدودتين باتجاه الارض . . ومع المفارقة والقضاء يتصاعد تكثيف اللحظة . . فبفعل الفقر تتحول لحظة اللقاء الإنسانى والجدعنة لفعل فاضح ومع الإقتراب من الفيللا تتغير زاوية الرؤية ويتحول الفعل الفاضح

للعبة مسلية . . وعلى مدى صفحات العمل يؤكد الروائى عوامل التضاد والمفارقة ، ما بين دفء المعسكر وبرودة السكن الارضى . . ما بين الحلم وزمن التحليق ومعانقة السماء ، وإستنشاق التراب ومراقبة السائرين . . ما بين الشيخ والمرأة وما بين صابرة والضابط ورئيس العمل تتلاقى كل الخيوط وتتجمع فى لحظة إطلاق الرصاص وما بعدها ، ولتقرر صابرة التخلى عن مشروعها فى رصد أحوال العباد وكشف ضمير الامة ، وهى المهمة التى لم يتخل عنها ، لحسن الحظ يوسف القعيد ، فكانت المحصلة إضافة روائية جديدة متميزة الأسلوب والبناء ترسم بانوراما لحقبة من تاريخ الوطن . .

❁

٤٥

# يوسف القعيد ..
# ووجوه من زمن المحروسة

هى دائمًا الرمز الواضح المتعدد الدلالات .. فالأم هى الوطن والأرض وإمتداد الجذور والعطاء ومصد الأمواج و .. و .. و .. مع ذلك فكثيراً ما إتسم تعامل الكتاب مع شخصية الأم بالقصور ، فلا يشغل الواحد منهم نفسه كثيراً برسم أبعاد الشخصية أو المؤثرات التى بلورتها أو كيفية تنامى الشخصية من خلال التفاعل مع الحدث .. والمحصلة هى صورة الأم بشكل مبتسر أشبه بالوجبات السريعة أو كأحد عناصر الديكور غير المؤثرة فى بنيان العمل . اللهم إلا فى حالات قليلة يمكن حصرها على أصابع اليدين ، مثل شخصية الست أمينة فى فصول قليلة متفرقة فى ثلاثة الكاتب الكبير نجيب محفوظ ودور الأم للكاتب نفسه فى لمحات متفرقة من رواية بداية ونهاية وصورة الأم أو الجدة أو من تتخذ مكانها فى بعض أعمال الكاتبات فوزية مهران وسكينة فؤاد وفى أول أعمال الروائية ميرال الطحاوى ، وبعض أعمال كتاب النوبة . مع ذلك فالملاحظ أن شخصية

الأم فى هذه الأعمال . . وعلى الرغم من شبه تكاملها وتفاعلها مع الحدث تأثيراً وتأثراً - فإنها تطرح من منظور إحدى شخصيات العمل أو الراوى ، كجزء مكمل للحدث لا كصانع له ، حيث يتم ذلك من خلال سرد إحدى الشخصيات المحورية أو الراوى لذكرياته وصدى الشخصية فى نفسه أو ردود أفعاله الخاصة تجاه كلمات أو سلوكيات الأم أو من تقوم بدورها . .
وفى روايته **أربع وعشرون ساعة فقط** يختار الأستاذ يوسف القعيد أن يقدم الحدث من خلال عينى الأم التى تمثل الشخصية المحورية للعمل والخيط الممتد الذى يربط من مجموعة التفاصيل الدقيقة المتناثرة ليعطيها دلالاتها وأبعادها الحقيقية ، وعلى الرغم من أنه من المعروف أن الكاتب يوسف القعيد قد رفض على مدى ما يقرب من الثلاثين عامًا الإغراق فى الرمزية ليقدم لقارئه الرواية التى تلامس الحياة والواقع وترصد التغيرات التى طرأت على المجتمع وهموم وتفاصيل الحياة اليومية مستعينًا بكل أدواته الفنية حتى ولو أدى الأمر لتقديمه لعمل كامل باللغة العامية كما فعل فى روايته لبن العصفور ، فإنه من الملاحظ أنه خلال عمليه الأخيرين **أطلال النهار** و**أربع وعشرون ساعة فقط** لجأ لتوظيف الرمز بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . . ففى روايته **أربع وعشرون ساعة فقط** لا يكتفى الكاتب بتوظيف الرمز السابق التجهيز للوطن والذى تجسده صورة الأم النمطية المعروفة بكل دلالاتها الإيجابية من عطاء وحنان وكفاح إلى آخره ، فينحت تفاصيل أكثر دقة ليكتسب الرمز أبعادًا حية وليصبح شخصية حقيقية تدب على أرض الواقع . على مستوى آخر تمثل رحلة الأم - التى إختار لها

الكاتب إسم محروسة عبد الحى الحلوانى ، بكل ما يحمله الإسم من دلالة عن مصر وعن بنـاتها ومقولة أن من بنى مصـر كان فى الأصل حلوانى ، وإختـيار الرقم سـبعة بما يـحمله من دلالة أسطورية ودينيـة كعدد لأبـنائها ورحلتها للاطمئنان على أبنائها بعـد أن ضرب الزلزال مصر المحروسة الخط الموازى لرحلة إيزيس لتلمـلم أشلاء اوزير . . فكمـا بدأت إيزيس رحلتهـا وحيدة وحـيدة بدأت محروسة الرحلة ومع كل خطـوة كان تلقى بجزء من أوهامها وذكرياتها والصور التى لم يبق منها سوى خطوط باهتة فى مخيلتها وحدها . . وكـأن الألم والخروج من أسـر الوهم وأثقاله ، لحـظة المخاض لمـيلاد جديد وكـما عـادت إيزيس من رحلتـها حـاملة لأمل جديد تعـود محروسـة إلى بلدتها الصغيرة ومـعها أحفادها إنـتظاراً لبعث جديد . . أن رحـلة محروسة على مستـوييها المادى والنفسى ولحظات الإستبطان والتأمل الذاتى وتداخل صـوت الراوى أحيانًا مع صـوت الشخـصيـة المحورية فى العمل ، وتوظيف الكاتب للرمز فى أكـثر من موضع فى العمل والمزج بين العامية والفصحى وإستخدام الأمـثال ، تتكامل كلها لترسـم رؤية إجتماعية ونفسية لا تقتصر حـدودها على الحدث المحدود المتمثل فى واقعة الزلزال ، بل تمتد لـتصنع نوعًا مـن التقابل بين الزلـزال الداخلى فى نفس محـروسة والزلزال الحقيقى الذى عاشتـه مصر على المستويين المادى والمعنوى ، عندما ندرك أن الكاتب قد حاول على مستـوى اللاوعى أن يرصد كل السلوكيات المشبوهة المغلفة بالأردية البيضـاء والنوايا الحسنة والكلمات البراقة الكاذبة أو حتى المخنوقة ليرسم تابلوهًا وحشيًا قاسيًا يرصد اللحظة بكل قبحها .

## ٤٦ في رحاب أدب النوبة ..

في كتابه شخصية مصر خلص د. جمال حمدان إلى أن لكل مكان خصائصه الجغرافية التي تطبع سكانه بسمات خاصة تشكل هويتهم .. فهل تؤثر خصائص المكان على الكاتب وتطبع إبداعه بسمات خاصة ؟!

• هل ملامح الإختلاف بين إبداع نجيب محفوظ وجمال الغيطاني ، رغم العلاقة الحميمة التي تربطهما ، تنبع من كون الأول قاهري حتى النخاع والثاني صعيدي المنبت ؟! هل التأثر بالمكان هو الذي جعل لأعمال د. يوسف عز الدين عيسى - الذي أمضى معظم سنوات حياته في مدينة مفتوحة العينين تحاول أن تطل على عالم آخر تتكسر على صخوره وشطآنه أمواج البحر الذي يفصلها عنه ، مذاقًا مختلفًا عن إبداع عبد الرحمن فهمي الذي إختار أن يمضي حياته في رحاب القاهرة المملوكية على شاطئ النيل؟! هل هو مصدر الإختلاف بين رباعيات صلاح جاهين وأشعار الأبنودي ؟!

المؤكد أن محاولة تتبع أعمال كتابنا وشعرائنا ودراسة خصائص إبداع كل منهم على حدة ستؤكد أن ملامح المكان التى تكونت فيه شخصية الكاتب - حتى وإن خفتت قليلاً فى ذاكرته بحكم هجرتهم للعاصمة أو إرتحالهم بين المدن - تطفو بين الحين والآخر بصورة لا واعية لتؤثر على إختيار الكاتب للمكان أو الحدث أو الشخصية أو حتى كيفية اختيار الكلمة وتركيب الجملة . وأغلب الظن أن القاهرة القديمة بعمارتها ومنمنماتها وزخارفها التى لا يمكن أن تمر بها العين مروراً عابراً ، فتشد العين لتأملها وتتبع مسار خطوطها ، كانت أحد العناصر الهامة فى ذاكرة نجيب محفوظ الفوتوغرافية التى ترصد معالم الأماكن والناس وتغوص فى أعماقهم لتنقل بكلمات واضحة كل ملامح الصورة . فى المقابل يختار جمال الغيطانى كلمات قوية وأحياناً غير مألوفة أشبه بشمس الصعيد الحارقة التى تخترق الصخور الصلبة ، ليبدأ رحلته الشاقة عبر الزمان والمكان ، بجلد وعزيمة أبناء الجنوب التى لا يدركها الوهن ، فى محاولة دؤوبة لإكتشاف لحظة التواصل بين الإنسان والكون بأسره . .

وإذا كانت محاولة إكتشاف تأثر الكاتب بالمكان بالنسبة لمعظم كتابنا فيها شيء من الصعوبة والجهد ، فالمؤكد أن الأمر يصبح أيسر بكثير إذا ما نزلنا إلى جنوب الوادى . . إلى النوبة . . هناك حيث رسم الفراعنة تاريخهم ، ثم اختلط النوبيون بالعرب وقبائل الصحراء والسلالات الزنجية،

وإعتنقـوا المسيحيـة ثم الإسلام ، ومع ذلك ظلوا حافظين لتراثهم الثـقافى والإجتماعى ولغتهم وحتى سماتهم الجسمانية .

فـالعين يمكن أن تميـز النوبى فى أى مكان منذ الوهلـة الأولى ، كمـا يدرك القارىء تمامًا منذ السطر أو البيت الأول فى أى عمل إبداعى إنه فى رحاب أديب نوبى . .

وإذا كان بعض النقاد قد حاولوا - فى لحظة تاريخيـة لزم فيها التأكيد على هوية النوبى المصرية - إبراز أوجه التمـاثل بين ما تطرحه نصوص أبناء النوبة وما تطرحـه نصوص غيرهم ، مـؤكدين أن القرية النوبية تشـترك مع كل قرى مصـر فى همومها ومشاكل عـلاقاتها الشائهة بالعـاصمة ، إلا أن قراءة الإصدارات المتوالية لكتاب النـوبة سواء فى مجال القصة أو الرواية أو الشعر - تكشف أن الأدب النوبى حتى فى إطار إسـتخدام الأشكال الأدبية الحديثة واللغة العربية مازال يحمـل سمات خاصة تميزه عن مختلف أشكال الإبداع الأخرى التى يقدمها كتابنا من شمال الوادى إلى جنوبه .

إن مـعظم أعمـال حـجاج حـسن أدول وخليل قـاسم وعبـد الله طه وإبراهيم فهمى وغيرهم تؤكد أنهم يحملون نسقًا من الأفكار والمعانى والمثل والمفـردات الذهنيـة والتصـورات العـقلية والسلـوكيـة التى تطبع تفـاعلهم الإجتـماعى بطابع خـاص وتحدد خـصوصيـتهم الثـقافيـة ووعيهـم بكيان جماعتهم كذاتية متفردة حتى وإن إنغمسوا فى حياة المدن .

فمن خلال معاناة أهل النوبة للتحـول التاريخى والجغرافى عدة مرات وهجرتهم وتركـهم لأرض الأجداد ، وإختزال تاريخ النوبة وحـضارتها فى مـجرد فـولكلور من الأغانى والـرقاصـات والملابس ، تولدت فى أعمـال الكتاب صـيغة مـشبعـة بالعواطف والإنفعـالات التى تعبر عن الإغـتراب والإنفـصال عن الآخـر والتقـوقع داخل الذات والشعـور بالأنا المطلوبة فى مواجهة الأخر .

ومع تكسر الحلم ، والإحساس بوطأة واقع يرفـضه النوبى بعد هجرته الأخيرة ، والشـعور أنه لم يبق من النوبة التى عرفها سـوى أجزاء وعناصر مشـتتة وحلم وحنين وحـسرة ، إهتم الأديب النوبى باسـتـرجاع الأسطورة والحدوتة الشعبية وإعادة تكوين الصورة من خلال الشظايا المتناثرة .

كذلك فقد عبر الأديب النوبى عن إحساسه الفادح بالخسارة من خلال إسترجاع ذكريات النوبة القـديمة قبل أن يغمرها الماء والحلم المتكرر بالطوفان وتلك العلاقة المبـهمة التى تربط أبناء النوبة بديارهم حتى بعد أن يسـتقروا فى المدينة ، لتظل العودة حلمًا لا يتحـقق أبدًا ولتظل النوبة فى عيونهم دار عشق وحنين وأسطورة حية فى قلوبهم . ولعل أعمال الروائى حسن أدول، التى تحـفل بطقوس الحـياة النوبيـة اليومـية من خـلال الأسطورة ورقـصة النائحات وعبـادة النهر والخوف المبهم من الطوفان والمزج بين اللغـة العربية والنوبية ، أوضح مثال على ذلك .

وإذا كان الأدب النوبى لم يحظ حتى الآن بالإهتمام الكافى رغم خصوصيته وتميزه ، إلا أنه يواجه الآن مأزقًا حقيقيًا يتمثل فى إنحسار اللغة النوبية التى كان يستخدمها الشعراء والرواة والتى تعتبر من أهم العناصر التراثية التى حفظت للأدب النوبى خصوصيته . فالجيل الجديد الذى ولد بعد الهجرة الجديدة لا يتقن فى الغالب اللغة النوبية ولا يهتم باستخدامها حتى فى الحياة اليومية . من ناحية أخرى فقد ظهر بعد الهجرة جيل جديد من الشعراء الذين قصروا أشعارهم على اللغة العربية كمحاولة لكسر حاجز العزلة ووصول أصواتهم للآخرين .

ومع إدراك بعض مثقفى النوبة لأهمية المشكلة ، وكى لا تتحول اللغة النوبية إلى مجرد كلمات متناثرة على شفاة العجائز والمسنين فى جلسات السمر ، ولكى لا تتحول اللغة لكائن واهن هزيل منفصل عن الواقع والإحساس النوبي ، بدأ البعض فى ترجمة القصائد العربية للغة النوبية وظهرت فكرة إقامة مركز للدراسات النوبية لحفظ وتطوير اللغة ، لتظل النوبة - لا بالنسبة لأبنائها فقط ولكن لنا جميعًا - دار عشق وأسطورة حنين لا ينتهى . .

# الفهرس





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠١/١٠٣١٧

I.S.B.N 977 - 01 - 7260 - X



◆ ◆ ◆ ◆

بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن على التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

**سوزان مبارك**




**مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب**

